

مُصْطَفَى عَيْنِ السَّارِقِ

الْفِيلَسُوفِ الْكَامِلِ الْأَمِيرِ الْفَاضِلِ



تأليف

أَبِي هَلِيمٍ مَضْرُوعِ الْأَمْعِيِّ



ابن هليم مضاف الى الامعي

# مصطفى عبدالرازق

الفيلسوف الكامل والإمام الفاضل

2023



**المؤلف: إبراهيم مضواح الألمعي**  
**عنوان الكتاب: الإمام مصطفى عبدالرازق**

---

الناشر: متون المثقف للنشر والتوزيع  
تليفون: 0223910863  
جوال: 00201110154111  
بريد إلكتروني: motonbook@gmail.com

---

رقم الإيداع: 1443 / 10247 هـ  
الترقيم الدولي: 3-1524-04-603-978

---

ح إبراهيم محمد محمد آل مضواح  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر  
الإمام مصطفى عبدالرازق  
ط 1 - أ، 1443  
ردمك: 3-1524-04-603-978  
1- التراجم 2 عبدالرازق مصطفى، أ. العنوان  
ديوي 920 10247/1443

---

الطبعة الأولى  
2023

(جميع الحقوق محفوظة لدار متون المثقف للنشر والتوزيع والمؤلف ولا يجوز نسخ أو إعادة  
طبع محتوى هذا الكتاب دون موافقة خطية من الناشر والمؤلف).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



خُلِقَ الْوَرَى مِنْ طِينَةٍ وَلَأَنَّ مِنْ طِينِ الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا مَخْلُوقٌ<sup>(1)</sup>

---

(1) - مقامات الحريري، ص(352)



## مصطفى عبدالرازق كَنَز من كنوز مصر

"إن مصطفى عبد الرازق كان كنزًا من كنوز مصر ليس إلى استقصائه من سبيل؛ كان كنزًا في العلم، وكنزًا في الخلق والسيرة، والقُدوة الحسنة لطلابه وأصدقائه، والذين عرفوه من قريب أو بعيد"<sup>(1)</sup>

د. طه حسين

---

(1) - من أعلام الفكر والأدب، ص(75)



## مصطفى عبدالرازق الفيلسوف الكامل

"ما نظننا مسرفين حين نلاحظ أن هذه الفضائل النادرة.. قد تحققت في أجلى صورها عند أستاذنا مصطفى عبدالرازق.. فاستحق من جميع من عرفوه أن يلقبوه باللقب الذي ارتضاه (الفارابي)؛ وهو: (الفيلسوف الكامل)"<sup>(1)</sup>

أ.د. عثمان أمين

"لم أجد من بين مفكري النصف الأول من القرن العشرين رائدًا للفكر الفلسفي أصدق في إخلاصه لرسالة التنوير من الشيخ مصطفى عبدالرازق، الذي لقبه تلاميذه ومعاصروه بـ(الفيلسوف الكامل)"<sup>(2)</sup>

أ.د. عصمت نصّار

---

(1) - رائد الفكر المصري، ص(226)  
(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرزاق، ج1، ص(7)



## مقدمة

ما أعذب الحديث عن القيم والفضائل والمروءات، وما أيسر التغني بها مجردةً، ولكنها تغدو عسيرةً على من يتحراها سلوكاً، ومشاعرَ، ومنهاجَ حياة. وإن تَسَنَّى لنا أن نجد أمثلةً مُجَسَّدةً لِقِيَمٍ متفرقة في آحاد الناس، فإن اجتماعها في شخصٍ إنسانٍ واحدٍ يملؤنا دهشةً، وإعجاباً؛ وهي إذ ذاك تغدو كشعاع نجمٍ يُرى ولا يُطال، ولكن ذلك لا يمنع الأرواح أن تتوق، والأعناق أن تشرئب، والعيون أن تُمدَّ.

إن تقادّم الزمن، وتوالي المحن، وطغيان الماديات، وعاديات الطباع والأطماع لا تزيد الفضائل والمروءات إلا جلاءً وجلالاً؛ فبأضدادها تتميزُ الأشياءُ. وأجَلٌ وأجملٌ ما تكون المروءات حين تكون مزيجاً من الطبيعة الفطرية، والاكْتِسَابِ العَقْلِي، في شخصٍ من يُدركُ نقائص الطبيعة البشرية، ثم يستطيع أن يتعالى عليها، ويرتفع عنها.

وفي هذه الصفحات مثالٌ لرجل اتصفَ بأنبُل الأخلاق، وأزكى الخصال، وأنقى الفضائل، وأرقى الأفكار، وأسمى المروءات، مجتمعة في مَنْبَتٍ كريم؛ في سيرةٍ عطرةٍ للمفكر النبيل، والإمام الفيلسوف مصطفى عبدالرازق، رحمة الله عليه.

وفيها إلماحةٌ إلى حياة نموذجٍ نادرٍ المثال، لرجلٍ رادِ الفلسفة الإسلامية في الجامعة المصرية، ومهدِّ لها السبيل، وأرَّخ لجهود السابقين، وعاش حياته مجمَعاً

للفضائل، على ما تُصوّر لنا الفلسفة والأديان من سموّ الإنسان، فكان حقيقاً بوصف تلاميذه وعارفيه به (الفيلسوف الكامل).

وفي الصفحات التالية إطلالة على حياة هذا الإمام المتعدّد الأبعاد، المتنوّع المواهب، الغنيّ الأفكار، المتميز السمات؛ فناً، وأديباً، ورائداً للفلسفة الإسلامية، وإماماً للأزهر، وأستاذاً جامعياً، ومرشداً روحياً، متعمقاً في التراث العربي، ودارساً للتراث الغربي، مازجاً الأصالة بالمعاصرة، والأدب بالعلم؛ "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"<sup>(1)</sup>.

وإن طرحنا سؤالاً عمّاً بقي من مصطفى عبد الرزاق لنعيد قراءته في القرن الحادي والعشرين! فإنّ الغالب أنّنا لن نضيف شيئاً على ما أكده تلاميذه ورفصاؤه من أكابر الباحثين والدارسين، حين نكتشف أنّنا إزاء نموذج فريد ومثليّ يقتدى للعالم والمعلم؛ الذي اتخذ من الحُبِّ والعشقيّة والصدائقة سبلاً للبحث عن الحقيقة، وآليات للدرس والتعليم. منطلقاً من أصالة حضارته، ونقده الهادئ للثقافات الوافدة، قادراً على اصطفاء النافع، واستبعاد الفاسد منها.

لقد بقي من مصطفى عبد الرزاق الفيلسوف الذي رغب عن انتحال النظريات إلى تأسيس المنهج، واجتهد في التآليف بين الثنائيات التي أعيت الفكر العربي الإسلامي: (الدين والعلم، الفلسفة والشريعة، القديم والجديد، الشرق والغرب، السفور والحجاب، التسامح والتعصب، الاستشراق والاستغراب، النقد والنقض، جماليات الإبداع وغرابة الجموح والابتداع، شموخ الأرسطراطية وتواضع الديمقراطية، بساطة الخطاب وعمق المشروع).

---

(1) - سورة الجمعة، الآية(4)

وسوف يظل مصطفى عبدالرازق علماً في تاريخ الفكر الفلسفي العربي المعاصر، وأستاذاً بَحَّاثاً، ورائدَ مدرسة الفلسفة الإسلامية المعاصرة؛ الذي أرسى قواعد البحث فيها، وأسس مباحثها، وحدد قضاياها. (1)

وإنني لأرجو أن يكون في قراءة طرفٍ من سيرته إنعاشٌ للذاكرة القيميَّة، ليس لدى الأجيال الناشئة وحسب، وإنما لدى كلِّ صاحبِ رأيٍ، أو موقفٍ، أو توجيهٍ، أو تأثيرٍ.

ففي دراسة سير هذا الطراز الرفيع من الرجال يلتعُّ قبسٌ من ضوء، يوري شعلة أمل؛ تضيء للأجيال دروب الفضائل، والقيم السامية، وإن قصرت بنا أنفسنا الأمارة دون التشبُّه بهذه القمم، فلا أقلَّ من أن نلتذ بأحاديثهم، ونتعزَّى بأخبارهم.

إبراهيم مضواح الألمعي

المع - 15 فبراير 2022م

الذكرى 75 لوفاة مصطفى عبدالرازق

---

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج 1، ص (55)



سيرة عالمنا



## الميلاد والنشأة

ترجع أسرة مصطفى عبدالرازق إلى قرية: (أبو جرج)، إحدى قرى محافظة (المنيا)، بصعيد مصر، وقد عُرفت بـ (أسرة القضاة)، لتولّي عددٍ من أبنائها القضاء عبر أجيال متعاقبة، فكان (أحمد عبدالرازق) جد مصطفى عبدالرازق من كبار قضاة الشرع في عصره. وله ذبوع ممتد بالعلم والكرم<sup>(1)</sup>، فجمعت هذه الأسرة المَجْد من أطرافه: العلم والقضاء، والنبيل والكرم، والجاه والثراء.

أما والده حسن باشا عبدالرازق فقد أتيحت له الدراسة في الأزهر، وهو من رفقاء الإمام محمد عبده<sup>(2)</sup> في تأسيس (الجمعية الخيرية الإسلامية)، وأحد مؤسسي (الجريدة)<sup>(3)</sup>؛ حاملة لواء الإصلاح السياسي والاجتماعي والتعليمي مطلع قرن العشرين<sup>(4)</sup>. وأمُّ مصطفى عبدالرازق هي: (خدوجة بنت الحاج عبدالسلام الشريعي)<sup>(5)</sup>. ومن هذه الأسرة العريقة: علي عبدالرازق<sup>(6)</sup>، شقيق مصطفى عبدالرازق، وصاحب الكتاب الشهير: (الإسلام وأصول الحكم)<sup>(7)</sup>.

- 
- (1) - انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج 2، ص(50).
  - (2) - الإمام محمد عبده: (1849م - 1905م)، أحد كبار رجال الإصلاح والتجديد في الاسلام. ولد ومات في مصر، وعمل في التعليم، وكتب
  - (3) - الجريدة: صحيفة مصرية يومية، صدرت عام1907م، واستمرت حتى عام1915م، رأس تحريرها أحمد لطفي السيد.
  - (4) - انظر: مفكرون من عصرنا، ص(831)
  - (5) - انظر: من أثار مصطفى عبد الرزاق، ص(15)
  - (6) - علي عبد الرزاق، (1888 - 1966م): باحث، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر، تعلم بالأزهر، ثم بأكسفورد. وأصدر الكتاب الشهير: (الاسلام وأصول الحكم) سنة 1925م، انتُخب عضواً في مجلس النواب، فمجلس الشيوخ، وعين وزيراً للأوقاف. من كتبه: (أمالي علي عبد الرزاق)، و(الاجماع في الشريعة الإسلامية)، و (من أثار مصطفى عبد الرزاق).
  - (7) - الإسلام وأصول الحكم: كتاب للشيخ علي عبدالرازق، صدر عام1925م، عالج فيه قضية الخلافة، وعلاقتها بالإسلام، وقد أثار جدلاً طويلاً في الأوساط الفكرية، تُرجم إلى الإنجليزية والفرنسية.

في قرية (أبو جرج) الوداعة المسالمة، التي يعيش أهلها أسرةً واحدةً غنيها وفقيرها<sup>(1)</sup> ولد مصطفى عبد الرازق عام 1885م؛ يقول شقيقه علي عبدالرازق: "لا يُعرف على وجه قاطع يوم مولده، ولا شهره، ولا سنته، وتدل القرائن، وما تتداوله العائلة من أخبار وأحاديث، على أن مولده كان حوالي سنة 1885م"<sup>(2)</sup>. وهو الأبن الرابع بين سبعة أبناء وبنيتين لوالده حسن عبد الرازق<sup>(3)</sup>.

الرازقيون أعلى الله قدرَهُمُو بَقَدْرٍ ما رفعوا لله مِنْ عَمَدٍ(4)

تلك الأسرة الكريمة التي قال عنها المؤرخ الأستاذ محمد عبدالله عنان<sup>(5)</sup>: "لم أشهد بين الأسر المصرية العريقة أسرة تضارع آل عبد الرازق في رقة الخلال، وفي الكرم، والأدب، والتواضع، ورحابة الصدر"<sup>(6)</sup>

وفي هذه الأسرة العريقة نشأ مصطفى عبد الرازق، في جو من الرفعة النبل وصفه المؤرخ الدكتور حسن محمود<sup>(7)</sup> فقال: "وقد شَبَّبتُ عن الطوق وأنا أرقبُ منبهراً ذلك القصر المهيب الذي يقف شامخاً على مشارف القرية من ناحية الشرق حيث أسرة (حسن باشا عبدالرازق) الثرية الكريمة التي جمعت بين العلم والفضل"<sup>(8)</sup>

فلما بلغ السابعة من عمره ألحقه والده بأحد كتاتيب القرية، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئاً من القرآن الكريم. وقد نشأ متديناً في أسرة متدينة؛

(1) - انظر: الشيخ الأكبر، مصطفى عبدالرازق، مفكراً وأديباً ومصلاً، (كتاب تذكاري)، ص(209).

(2) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(15)

(3) - هذا الرجل من مصر، ص(588)

(4) - محمود أبو الوفا: دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، ص(306)

(5) - محمد عبدالله عنان: مؤرخ ومترجم، وقانوني مصري، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، له مؤلفات علمية بارزة، توفي عام 1986م.

(6) - كيف أصبحوا عظماء، ص(177)

(7) - د. حسن محمود: أحد أكابر أساتذة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة.

(8) - هذا الرجل من مصر، ص(587).

يقول عنه شقيقه علي عبدالرازق: "كان صبيًا مباركًا، تلوح في أعطافه بواكيرُ  
الإيمان الساذج<sup>(1)</sup> الصافي، الذي هو ثمرة ما رُكِّبَ في طبعه من صفات  
ومَلَكَات<sup>(2)</sup>"

---

(1) - الساذج: البريء الخالص؛ لا يشوبه شيء.  
(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(21)



## في الأزهر

بعد سنوات من الدراسة في كُتَّابِ القرية ألحقه والده بالجامع الأزهر نحو عام 1896م، ليتلقى العلم فيه، وسنُّه بين العاشرة والحادية عشرة.<sup>(1)</sup>

فاجتهد وتميز في دراسته الأزهرية، منذ شبابه الباكر، متطلِّعاً إلى المجد، ورنا إلى آفاق بعيدة؛ لم تكن واضحةً وضوحاً صريحاً في نفسه، ولكنها كانت تملأ قلبه وعواطفه، وتُشعره بالحيرة التي عبَّرَ عنها بقوله: "أنا أستيقظ من منامي قبل أن تشرق الشمس فما أزال أنتقل من حلقةٍ أستاذٍ إلى مشاركةٍ رفيقٍ في مطالعةٍ إلى انفرادٍ بالدرس حتى آوى إلى مخدعي قبل نصف الليل فَاتَرَ القوةَ متنبِّهَ عصبِ الدماغِ محتاجاً إلى النوم غير واجدٍ إليه سبيلاً، وليس لي من سلوةٍ في ثنايا هذا العناء المتتابع لا من لذة العمل نفسه ولا من ثمرته.. ثم إن في أعماقي قلماً ينزغُ بي إلى أمانيٍّ لا موضعٍ لتحقيقها في هذا الوسط"<sup>(2)</sup>

ولا تخفى مرارة الشكوى، وما يستولي عليه من الضيق بطبيعة الدراسة الأزهرية، وعدم رضاه عنها ولا عما ينتهي إليه جدُّه فيها.

ويصف ما انتهت إليه حاله من الشعور بالضجر والإحباط والمرض؛ فيقول: "كنتُ يومئذٍ شاباً تتفتق عنه غلائل الطفولة، ولم تكن بُنيِّي قوية، ولا أعصابي متينة فضعفتُ من أثر الجهد المضني في دراسة غير منظمة، وعَرَاني سأمٌ

(1) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(15)

(2) - السابق، ص(111-112)

من الدراسة في الأزهر واشتدَّ ذلك السأم حتى صار ألماً ملازمًا، وكانت طبيعة الحياءِ تعوقني في ذلك الوقت عن أن أثبِّ ما بي إلى أحد<sup>(1)</sup>

ولا تسلية له في حياة الجد الأزهرية إلا لقاء خاصة الأصدقاء، في مجالس يُديرون فيها أحاديثهم بين الجد والهزل، تلك المجالس التي شَهِدَ أحدها أولَ لقاءٍ بين مصطفى عبدالرازق وطه حسين؛ ذلك اللقاء الذي وصفه طه حسين فقال: "كنت في السادسة عشرة حين لقيته لأول مرة؛ حين أقبل زائرًا للثلاثة من رفاقه في الأزهر، بينهم أخي<sup>(2)</sup>. وكانوا جميعًا يقيمون في عُرفات متقاربة في رُبْع من تلك الرُّبُوع التي كان طلاب الأزهر يحتلونها في حوش عُطَي. وكانوا يجتمعون في غرفة أحدهم حين يزورهم الزائرون، وقد كان الاجتماع في غرفتنا تلك المرة. وقد لقيتُ منه شابًّا حارًّا الصوت، صادق اللهجة، عذب الحديث، لا يرفعُ صوته إلا بمقدار؛ وكان قليل الحركة، معتدل النشاط، يمتازُ من رفاقه أولئك بهذا الوقار الهادئ المطمئن الذي لا يتسم به الشبابُ عادةً، وإنما هو سِمَةُ الشيوخ ومن يجري مجراهم من الذين تقدمتْ بهم السن. وكان جمًّا الأدبِ، موفورَ التواضع، لا يتجاوز القصدَ في قولٍ أو عملٍ، يفرض عليه طبعُهُ ذلك، ويفرضه هو على الذين مجالسهم أو يتحدث إليهم، كأنما كان يُلقي في نفوسهم وقلوبهم وعلى ألسنتهم، فضلاً من وقاره وهدوء نفسه. فهم يتحدثون مثله في أناة، ويضحكون مثله في قصد، ويروون معه أحاديث الجدِّ، وربما عبثوا شيئاً بنوادرِ الشيوخ من أساتذة الأزهر"<sup>(3)</sup>.

ويروي الأستاذ عبد الجواد رمضان<sup>(4)</sup> خبر تلك المجالس فيقول: " كان يختلف إلى مجتمعاتهم كثيرون من الشباب المثقف من مختلف الأقاليم المصرية،

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(268)

(2) - يريد شقيقه الأكبر: أحمد حسين

(3) - كتب ومؤلفون، ص(90)

(4) - عبدالجواد رمضان: أحد الأساتذة الأزهريين، ذوي العناية بالأدب. توفي عام 1959م

والأوطان العربية، فيتباحثون، ويتساجلون، ويتناشدون.. ومما بقي عالماً بذهني  
من تلك الطرائف، أن الشيخ مصطفى عبدالرازق - وكان رئيس الشَّلَّة - طرح  
البيتين المنسوبين لولادة بنت المستكفي<sup>(1)</sup>:

أنا - والله - أصلح للمعالي وأمشي مشيتي، وأتبعه تيهها  
أجرُّ على الوري ذيل التصابي<sup>(2)</sup> وأعطى قبلتي من يشتهيها

طرحهما للتشطير، وجعل جائزة المتفوق، بيتين من شعر رئيس المجموعة  
(مصطفى عبدالرازق): وكان المتفوق إبراهيم القاياتي؛ فقال: مصطفى  
عبدالرازق:

لله إبراهيم من شاعرٍ ذِي فِطْنَةٍ فِي الشِّعْرِ وَقَادَهُ  
وَأَدَّ فِي التَّشْطِيرِ مِنْ أَلْفِهِ مَا لَمْ تَضَعُهُ قَبْلُ وَلَا دَهُ!

والتورية في: "لم تضعه قبل ولادة" غنيَّة بروعتها وجمالها عن أن يشار إليها<sup>(3)</sup>

(1) - ولادة بنت المستكفي: شاعرة أندلسية، من بيت الخلافة. كانت تخالط الشعراء وتساجلهم. توفيت بقرطبة عام(484هـ)  
(2) - هكذا في مقالة عبدالجواد رمضان، وإن كان المشهور في كتب الأدب أن الشطر الأول من البيت الثاني: "وأمكن  
عاشقى من صحن خدي".  
(3) - مجلة الازهر، مجلد 22، عدد 8، شعبان 1370 هجري، ص (714).

## اتصاله بالأستاذ محمد عبده وتأثره به

في الأزهر أُتيح لمصطفى عبدالرازق حضور دروس الإمام محمد عبده التي كان يلقيها بعد صلاة المغرب، في الرواق العباسي<sup>(1)</sup>، ابتداء من عام 1903م، وقد كان هذا اللقاء بعيد الأثر في تحويل مجرى حياته؛ وإن كان قد جاء إلى درس الإمام مُحَمَّلاً بها أملاه عليه شيوخ الأزهر عن الشيخ محمد عبده، فهو يصف هذا اللقاء فيقول: "كنت طالباً من صغار الطلاب أيام جاء الشيخ محمد عبده إلى الأزهر، وكان أساتذتنا عفا الله عنهم، لا يفتنون يذمون لنا الشيخ، ويمثلونه خطراً على الدين وأهله داهماً، فتأثر بذلك عقولنا الطفلة، وكنت أفرُّ بديني من أن ألقى الأستاذ أو أستمع لدروسه مع أنه صديق لوالدي.

وحضرتُ درسه مرةً لأشهد كيفَ تَشِيهُ وجوه الملحدين، وتَشِيهُ معها عقولهم وقلوبهم، فلما رأيتُ الرجل بالرواق العباسي وسمعتَه يُفسر كتاب الله قلت من ذلك اليوم: اللهم إن كان هذا إلحاداً، فأنا أولُ الملحدين"<sup>(2)</sup>.

وكتبَ شقيقه علي عبدالرازق عن هذه الأصره التي توثقت بين مصطفى عبدالرازق وأستاذه محمد عبده: "سرعان ما امتلأت نفسي تقديراً لشيخه وثقةً به، واحتراماً وحُباً له، وسرعان ما التفت الأستاذ إلى تلميذه يتعهد ويرعاه... ولم ينشب روحهما إذ التقيا أن يتعارفا أقوى تعارف، وأن يتألفا أصدق تألف"<sup>(3)</sup>.

(1) - انظر: هذا الرجل من مصر، ص (588)

(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص (176)

(3) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص (26)

اهتدى مصطفى عبدالرازق إلى دروس الإمام محمد عبده بعد أن ضاق بالأزهر، وبأسلوب التدريس فيه، فكتب إليه يشكو ضيقه بدروس الأزهر: "إني نظرتُ في أمري بعد أن قضيت ما قضيت في الجامع الأزهر وأضعتُ ما أضعتُ من صحتي وشبابي في طلب العلم، فلم أجد ثمنًا لما بذلتُ إلا حشدًا من الصور والخيالات لا يضيء البصيرة ولا يبعث العزيمة ولا يُعدُّ للسعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة.

ليت الحوادث باعتني الذي أخذتُ مِنِّي بعلمي الذي أعطتُ وتجريبي(1)

طلبتُ السبيلَ إلى الكمال والعلم النافع فما وجدتُ الدليل ولا اهتديت إلى السبيل. وقد هدّنتني إليك خاتمة المطاف وفاتحة الألفاظ، فجئتك أسألك أن تعلمني مما علمك الله وألا تكلني إلى رأيي.

وها أنذا أبسط يد الرجاء إليك، ولم أبسط لغيرك يدًا، وأرفع إليك أمنيّتي في الحياة، وقد وضعت أمنيّتي ببابك، ومثلك من لا يخيب ببابه الأمل(2).

فزاره الإمام في دارهم ونصح به بالاستمرار في دراسته في الأزهر، وأرشده إلى قراءة: (حماسة أبي تمام، ونهج البلاغة، فضلاً عن متابعة أعداد مجلة المنار(3) للشيخ محمد رشيد رضا(4)، وغيرها من كتب العلم والأدب). كما لم يفتته درس من دروس الإمام، في دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة(5).

(1) - البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوق، ج1، ص (293)، وأصله (بحلمي)، فجعله بعلمي ليناسب طلبه العلم في الأزهر.

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص (26)

(3) - مجلة المنار: مجلة إسلامية، أسسها الشيخ محمد رشيد رضا عام 1898م.

(4) - محمد رشيد رضا: (1865م-1935م)، صاحب (مجلة المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. لازم الشيخ محمد عبده وتلمذ عليه.

(5) - حولية كلية الإنسانيات، جامعة قطر، ص (235).

لقد بلغ مصطفى عبدالرازق لدى أستاذه محمد عبده مَبْلَغَ الرضا لما رأى فيه من فرط الذكاء، والدأب على الدرس. وقد تأثر مصطفى عبدالرازق لإقضاء الإمام عن الأزهر، وكتب قصيدة في الثناء على أستاذه، روى أخوه علي عبدالرازق منها الأبيات الثلاثة التي عَلَقَتْ بذاكرته:

أَرْضَيْتَ رَبَّكَ لَا تَخْشَ الْمُرَيْبِينَ      يَا خَيْرَ مَنْ خَدَمَ الْإِسْلَامَ وَالِدِينَا  
صَدَعْتَ بِالْحَقِّ وَالْأَصْوَاتُ خَافَتُهُ      وَدُسَّتْ مَا شَيَّدَتْ أَيْدِي الْمُضْلِينَا  
بِحُجَّةٍ تَمَلُّ الْأَلْبَابَ مَوْعِظَةً      كَالشَّمْسِ تَمَلُّ أَبْصَارَ الْبَصِيرِينَا

فأجابه الأستاذ برسالة تكشف موقع التلميذ من نفس أستاذه الكبير؛ جاء فيها: "ولدنا الأديب: ... ما سررت بشيءٍ سروري بأنك شعرت من علم حدثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك. فله أنت! والله أبوك! ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقتُ إليك من الثناء ما يملأ عليك الفضاء، ولكني أكتفي بالإخلاص في الدعاء أن يمتعني الله من نهايتك بما تفرَّستُهُ في بدايتك، وأن يُخْلِصَ للحقِّ سِرَّكَ، ويُقدِّرَكَ على الهداية إليه، وَيُنَشِّطَ نَفْسَكَ لجمع قومك عليه، والسلام" (1)

بهذه المعرفة وهذا القرب انتشله أستاذه الإمام محمد عبده من حَيْرَتِهِ، وتجاوز به علوم الأزهر التقليدية، وأسلوبَ التدريس الجاف، المعتمد على التلقين والحفظ والتكرار، وشرح المتون، دون إتاحة فرصة للمراجعة أو المناقشة، أو منح مجالاً لتأمل هذه الأفكار، ناهيك عن رفضها (2).

أخذ الإمام محمد عبده بيد تلميذه فأطلعه على علوم البلاغة والمنطق والفلسفة، والتصوف، وفلسفة التاريخ، وأشرع أمامه آفاقاً رحبة من العلوم

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص (27).  
(2) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص (65).

الحديثة؛ في منهج علمي يعتمد على الحوار والمناقشة، ويستند إلى النزعة العقلية التي تناقش الأفكار؛ ولا تقبلها كمسلمات أو حقائق، فكل قضية قابلة للنقاش، وكل قضية لها نقيضها، ويمكن قبولها أو ردها ولكن بالاعتماد على أدلة القبول أو الرفض، فكان يقول لمصطفى عبدالرازق ولزملائه: "اقرأوا كتب الأدب، واحفظوا من مختار الشعر وجيد النثر، وحرّكوا أفكاركم وخيالاتكم، وهزّوا ألسنتكم وأقلامكم"<sup>(1)</sup>.

اكتشف الإمام محمد عبده مواهب تلميذه، وفهم طبيعة شخصيته، وأدرك طموحاته وأمانيه، فوجهه الوجهة الصحيحة، وكان له معلمًا ووالدًا. وأخذ بيده من عالمه التقليدي إلى دنيا جديدة رحبة الآفاق، متعددة المسالك، متنوعة المشارب.

وقد تبّه بعض الدارسين الأجانب لهذه الصلة الوثيقة؛ يقول تشارلز آدمز<sup>(2)</sup>: "كان مصطفى عبدالرازق واحدًا من التلاميذ المقربين إلى الشيخ محمد عبده"<sup>(3)</sup>

وحيث قال له مصطفى عبدالرازق شاكيًا: "لقد سئمت دروس الأزهر، ولم أعد أستطيع أن أستمع على الاشتغال بتلك الأبحاث العقيمة؛ إني أشعر أنها تجني على عقلي وذوقي". أجابه الإمام قائلاً: "يا بُني أنا أعرف ذلك السأم الفعلي وهو يدلُّني منك على ما تفرَّستُهُ من فطرة صالحة"<sup>(4)</sup>.

لقد تعرف الإمام محمد عبده على ملكات تلميذه العقلية، وقدراته النفسية، وآماله العريضة، فأخذ بيده إلى مدارج الرقي، ووضع أقدامه على الطريق السليم.

---

(1) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص (67).  
(2) - تشارلز آدمز: (1883م-1948م)؛ مستشرق أمريكي. مؤلف كتاب (الإسلام والتجديد في مصر).  
(3) - الإسلام والتجديد في مصر، ص (245).  
(4) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص (94).

ولذلك فقد كان ارتباط مصطفى عبدالرازق بالإمام ارتباطاً وجدانياً وعقلياً وثيقاً. وكان يدرك أبعاد هذه الصلة الوثيقة بأستاذه الإمام محمد عبده، ولذلك قال: "اتصلت بالشيخ محمد عبده فتأثرتُ بدروسه، وآرائه، واصطدمتُ في نفسي تلك اليقظة الفكرية، التي بثّها الشيخ محمد عبده في عقول تلاميذه بما كنا نتلقى من شيوخٍ لم تُرضنا معارفهم، ولا مذاهبهم"<sup>(1)</sup>

ومن مظاهر تلك الصلة الروحية الوثيقة بين التلميذ وأستاذه تلك القصيدة الموحية التي استقبله بها حين عاد من رحلته الصيفية إلى أوروبا:

أقبلُ عليك تحيةً وسلامٌ	يا ساهراً والمسلمون نيامٌ
تطوي البلادَ وحيثُ جئتُ لأمةٍ	نُشرتُ لفضلِكَ بينهم أعلامٌ
كالبردِ أنِّي سارَ يُشرقُ نوره	والحقُّ أنِّي حلٌّ فهو إمامٌ
إن يقدروا في الغربِ قدرَكَ حقُّه	فلمصرُ أولى منهم والشامُ
فيكَ الرجاءُ لأمةٍ لعبتُ بما	يلهي الصغارَ وجَدَّتِ الأيامُ
لا زلتُ غيظاً للضلالِ وأهلهِ	واللهُ يرضى عنكَ والإسلامُ <sup>(2)</sup>

وحين كان الإمام محمد عبده في مرضه الأخير زاره مصطفى عبدالرازق في مايو 1905م، ووصف حاله بأسى؛ قائلاً: "يظهر أن داءه لسوء حظ المسلمين عُضال.. كان في سريره شاحب اللون، تُراجمُ البشاشة الفطرية في وجهه لدعة الألم، وهو على ذلك حلو الحديث حاضرُ البديهة"<sup>(3)</sup>

وفي يوليو سنة 1905م توفي الإمام محمد عبده، وكانت صدمة قاسيةً على التلميذ، فأَمْضَه الحزنُ والأسى، وكتب في رثائه:

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(267).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(24)

(3) - السابق، ص(111)

يا فقيد الهدى، عليك السلام  
لم تنل همك الخطوب الجسام  
تتحمي طريقه الأيام  
فكيف اعتدى عليك الحمام؟  
وفيه الثبات والإقدام  
ثبتت في رحابه الأيام  
وإن نال من أذاك اللئام  
طاهر الذيل لم يمسك ذام  
فتلوي عناتها الأوهام  
ساهر العزم، والقلوب نيام  
لا تباريه في السداد سهام  
تتغني بذكره الأعلام  
وتوأتى والزمان غلام  
صدعته بموتك الآلام  
فدقناه يوم مات الإمام  
وقليل من النفوس الكرام<sup>(1)</sup>

رُزئ العلم فيك والإسلام  
كنت طوداً إذا الخطوب ادلهمت  
رجلٌ كان حين يسلك فجاً  
يا دفين القلوب، قد هابك الدهر  
إن في قبرك السماحة والفضل  
كان مغناك للعفاة رحيباً  
لم تكن تحمل الضغينة والحد  
طيب القلب لم تهّم بشر  
كنت حيّ الفؤاد تصدع بالحق  
كنت سلّم الطباع، والدهر حرب  
كنت ترمي في كل علم بسهم  
أنت خلفت في الأنام ثناءً  
جنت هذي الحياة والدهر كهل  
إن قلباً أصفاك بالود حياً  
كان في هذه الحياة رجاء  
رحم الله نفس كريم

وفي كتاب تعزية بعثه مصطفى عبدالرازق إلى محمد رشيد رضا - وهو أحد  
أصفياء الإمام - ما ينبي عن مدى الفجوعة والفقد، ومقدار الحب والأمل الذي  
كان يراه في حياة أستاذه الإمام؛ يقول فيه: "عَلَبْتُ عَلَى النَّفْسِ فَوْرَةَ الْهَمِّ حَتَّى

(1) - مجلة الأزهر، مجلد 22، عدد 8، شعبان 1370 هـ - مايو 1951 م، ص (716)، وانظر: الأعمال الكاملة، ج 2، ص (314-315).

أُنكرتُ كُلَّ ما عَرَفْتُ من شأن الصبر، واسترسلت الأكدارُ، واستعصتُ على الناصح، ونَسِيتُ وعدَ الله للصابرين... ولقد خشيتُ أن تجمَحَ في بيدااءِ الجزع فلا يردّها رادُّ ولا يصدها صادُّ، ولا يدفعها عن الغي رشاد. لكن أبتُ عزيمةُ الإسلام، وأبى يقينٌ ورثناه عن الأستاذ الإمام، إلا أن يؤوبَ الرُّشدُ من غيبته، ويصحوَ العقلُ من سكرته، على عِظَمِ الرِّزيةِ وشِدَّةِ البليَّةِ" (1)

لمَسَ الإمامُ محمد عبده تَعَلَّقُ مصطفى عبدالرازق به، وإخلاصه في حبه؛ وإيمانه بعلمه ورسالته الإصلاحية، ولم ينته هذا التعلُّقُ والوفاء بموت الإمام؛ بل ازداد التلميذ تمسُّكًا بمنهج أستاذه، ووفاءً لذكراه، وتقديرًا لمنهجه: فرثاه، وكتبَ عنه، وقَدَّم عنه (سلسلة محاضرات)، في جامعة الشعب، سعى من خلالها إلى تمثيل صورة صحيحة من أخلاقِ أستاذه، ومعارفه، ومذاهبه في الإصلاح (2). فهو يؤكِّدُ أن الإمام محمد عبده أنشأ "في بضع سنين جيلاً طموحاً للفهم المستقل، عزوفاً عن التقليد، يشعر بالكرامة الإنسانية، ويلتمس المُثل العليا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكان ذِكْرُ الشيخ عبده يطير في الآفاق مقروناً بذكر النهضة الإصلاحية التي استرعت الأنظار" (3)

وهذا الوفاء الذي أشار إليه المستشرق الإنجليزي (تشارلز آدمز) فقال: "وتشمل مصنفاته الأدبية دراسات حياة الشيخ محمد عبده ولتعاليمه تدل أنه ما زال حافظاً لعهد أستاذه مقيماً على ولائه وسابق وده" (4).

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص (34)

(2) - أشار مصطفى عبدالرازق إلى هذه المحاضرات في تقديمه لكتاب تشارلز آدمز: (الإسلام والتجديد في مصر)، ص(و).

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(335).

(4) - الإسلام والتجديد في مصر، ص(245).

وألفَ عنه كتبًا ورسائل، وكان يحفظ بعض كتبه عن ظهر قلب، وترجم بعضها إلى الفرنسية؛ ووجه طلابه إلى دراسة منهج الإمام ودعوته، وورثهم حُبَّ أستاذه.

وبقي على هذا الوفاء، متمسكًا بأصرة الحب، حتى آخر حياته، فقد أجاب على استطلاع لمجلة الهلال قبل رحيله بأيام، حول أحبَّ رجال التاريخ إليه، وجاء في جوابه: "أستطيعُ أن أقول: إن أحب المصلحين إليَّ في العصر الحديث هو الإمام الشيخ محمد عبده"<sup>(1)</sup>

وبقي على هذا الوفاء، حتى أدركه الموت وهو يحاول تحقيقَ أملِ أستاذه الإمام في إصلاح الأزهر من داخله، فخطا في هذا المضمار خطوات، ولكن الموت كان أسبقَ إليه من تحقيقِ غايته النبيلة.

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(190).



## فقد الأب بعد فقد الأستاذ

في أواخر ديسمبر 1907م توفي الشيخ حسن عبدالرازق (والد مصطفى عبدالرازق)، بعد معاناته المرض سنةً كاملة، مضت ثقيلة موجعة للابن المشفق، شديد التأثر والتعلق بوالده، الأثير لديه، الذي كان يجب مرافقته في رحلة مرضه مسافرًا ومقيمًا، لِمَا يَأْنَسُ بقربه من الراحة والاطمئنان.

انبعث أسي مصطفى عبدالرازق لموت أبيه شعرًا متفجعًا، يشي بقلبٍ مكلوم، ومما حُفِظَ من رثائه والده قصيدتان نُشِرَتَا في الصُّحُفِ في تلك الفترة:

### القصيدة الأولى<sup>(1)</sup>:

تَكَدَّرَ هَذَا الْعَيْشُ بَعْدَ صَفَائِهِ	وَبُدِّلَ يَأْسًا مَا مَضَى مِنْ رَجَائِهِ
أَلَا مَنْ لِنَفْسِي (2) أَدْنَفَ الْهَمُّ قَلْبَهَا	فَأُضْحَى عَلِيًّا لَا طَيِّبَ لِدَائِهِ
خَلِيلِي لَا تَسْتَكْثِرَا فَيَضَ عِبْرَتِي	فَوَاللَّهِ مَا وَقَّيْتُ حَقَّ بَكَائِهِ
لِي اللَّهُ يَوْمًا شَيَّبَتْنِي خَطُوبُهُ	وَحُمِلْتُ مَا حُمِلْتُ مِنْ بُرْحَانِهِ
بِنَفْسِي مَنْ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ	وَأَوَاهُ كَيْفَ الْعَيْشُ بَعْدَ فَنَائِهِ
أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَرُوعَ بِمَا جَدِ	ثَوَى الْفَضْلُ وَالْمَعْرُوفُ يَوْمَ ثَوَانِهِ
رُويِدِكَمَا يَا صَاحِبِي فَبَانِي	أَخُو حَسْرَاتٍ تَأْكُلُ لِعَزَائِهِ
وَيَا دَهْرُ رَفَقًا بِأَمْرِي لَمْ تَدَعْ لَهُ	رَجَاءً فَقَدْ قَطَعْتَ حَبْلَ رَجَائِهِ
فَتَى صَدَّعْتَهُ النَّاتِبَاتُ فَأَوْجَعْتَ	وَحَالَ قِضَاءُ اللَّهِ دُونَ قِضَائِهِ
سَقَى اللَّهُ بِالصَّحْرَاءِ قَبِيرًا مُعْظَمًا	وَدَدْتُ لَوْ أَنِّي مُودَعٌ بِفِنَائِهِ

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(39)  
(2) - هكذا في كتاب: من آثار مصطفى عبد الرزاق: (لنفسى)، ولعلها: (لنفس).

أَبِي عَشْتٍ حُرًّا لَا تُقِيمُ عَلَى أَدَى  
وَأَسَلَمْتَ لِلرَّحْمَنِ وَجْهَكَ مُؤَمَّنًا  
بِكُنُكَ بِلَادٍ كُنْتَ تَحْمِي ذِمَارَهَا  
وَفَدَاكَ قَوْمٌ لَمْ تَزَلْ نَاصِحًا لَهُمْ  
تَوَلَّكَ رِضْوَانُ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ

وَعِشْتَ وَفِيًّا صَادِقًا فِي وَفَائِهِ  
وَلَمْ تَأَلْ جُهْدًا فِي سَبِيلِ رِضَائِهِ  
بِصَارِمِ عَزْمٍ مُخْلِصٍ فِي بِلَائِهِ  
أَمِينًا جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ جِزَائِهِ  
فَقَدْ كُنْتَ نَوْرًا يُهْتَدَى بِضِيَائِهِ

### القصيدة الثانية(1):

وَقِيَّتِ الرَّدَى يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْفَرْدُ  
سَلَكْتَ سَبِيلَ الرَّشْدِ فِي نَفْعِ أُمَّةٍ  
وَجِئْتَ وَجْهَ الْحَقِّ لِلنَّاسِ سَاطِعًا  
لَكَ اللَّهُ مَا وَقَرْتَ لِلنَّفْسِ رَاحَةً  
بِلُونَاكَ فِي جِدِّ الزَّمَانِ وَهَزَلِهِ  
فَقِيدَ الْعُلَى طَابَتْ حَيَاتُكَ كُلُّهَا  
لَقَدْ كُنْتَ طَوْدَ الْفَضْلِ فَاذْكُ طَوْدَهُ  
نَعُوكَ فَحَاقَتْ بِالْبِلَادِ رِزِيَّةٌ  
وَأَضَحْتَ قُلُوبَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْأَسَى  
بِكِي الشَّيْبِ وَالشُّبَّانِ يَوْمَ مُصَابِهِ  
نَسِيرٌ بِنَعَشٍ حَوْلَهُ النَّاسُ خُشَّعًا  
شَقَقْنَا بِصَحْرَاءِ الْإِمَامِ ضَرِيحَهُ  
دَفْنَاكَ فِي قَبْرِ وَعُدْنَا بِأَنْفُسٍ  
لِعَمْرِكَ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ

بَلَى رُزِنْتَ فِيكَ الْمَرْوَةَ وَالْمَجْدُ  
أَضْرَّ بِهَا قَوْمٌ يَغِيظُهُمُ الرَّشْدُ  
وَقَدْ لَعِبْتَ بِالْحَقِّ أَلْسِنَةً لِدُ  
وَجَاهَدْتَ حَتَّى نَالَ مِنْ نَفْسِكَ الْجَهْدُ  
فَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ فِي حِدِّهِ الْحَدُّ  
فَأَوْلَاهَا حَمْدٌ وَأَخْرَاهَا حَمْدُ  
وَكُنْتَ نِظَامَ الْعِقْدِ فَانْفَرَطَ الْعِقْدُ  
وَطَافَ بِهَا جَنَحٌ مِنَ الْخَطْبِ مَسْوَدُ  
وَبَاتَتْ عَيُونٌ لَا يَزِيلُهَا السُّهُدُ  
فَمَا دَفَعَ الْمَقْدُورَ شَيْبٌ وَلَا مُرْدُ  
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَمْلَاكِ يَتَّبِعُهُ جُنْدُ  
وَتَمَّتْ أَلْقَى رِحْلَهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ  
يَقُومُ بِهَا وَجْدٌ وَيُقْعِدُهَا وَجْدُ  
وَمَا سَاعَنِي نَحْسٌ وَلَا سَرْنِي سَعْدُ

(1) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(40)

تساوى ظلامُ الدهرِ عندي ونوره  
أروحُ وأغدو موجعَ القلبِ ليتني  
أدورُ بعيني لا أرى غيرَ لحدِهِ  
إذا قلتُ لأن القلبَ للصَّبرِ ساعةً  
ألا أيها المولى سَقَى قبرَكَ الحيا  
وفيتُ بعهدي والوفاءُ سَجِيَّتِي

وسَيَّانَ صابٍ ما تذوقتُ أو شهْدُ  
صريعِ حُمامٍ لا أروحُ ولا أغدو  
كأنَّ جميعَ الكونِ نلِّكم اللِّحدُ  
عَدَّتُهُ تباريحُ الهمومِ فيشتدُّ  
ففي كبدي من لثمِ ثرْبَتِهِ برْدُ  
وفي النَّاسِ قومٌ لا يُصانُ لهم عهدُ



## عالمية الأزهر والسفر إلى فرنسا

كانت الشواغل كثيرة، والأحزان مضمينة، ولكنها لم تُعقِ مصطفى عبدالرازق عن الاستعداد لامتحان العالمية الأزهرية، فأتى الاستعداد لها، وقاومَ أحزانَ الفقد، وتقدّم للاختبار أوائل عام 1908م، واجتازه متقدماً على جميع زملائه، ونال الدرجة الأولى؛ وهي أرقى درجات العالمية الأزهرية في تلك الأيام<sup>(1)</sup>.

وعلى إثر نجاحه الباهر، وحيازته عالمية الأزهر انتدب في عام تخرجه للتدريس في مدرسة القضاء الشرعي، ولم تمضِ شهور حتى استقال؛ في مارس 1909م.

وقرّر بتأييد من أسرته السّفَرَ إلى فرنسا لدراسة اللغة الفرنسية، وبعض العلوم في جامعة السوربون، فسافر في يونيو 1909م بقصد أن يقيم في باريس سنة واحدة، يرافقه الأستاذ أحمد لطفي السيد<sup>(2)</sup> رئيس تحرير (الجريدة) إذ ذاك، ليهيئ له أمور الإقامة والدراسة. وقد امتدت هذه الرحلة خمس سنوات؛ حضر خلالها دروس الأستاذ دوركهائم<sup>(3)</sup> في الاجتماع، ودروساً في الآداب وتاريخها، ثم تحول إلى مدينة ليون فحضر دروس الأستاذ غوبلو<sup>(4)</sup> في تاريخ الفلسفة، ودروساً في

---

(1) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(41)  
(2) - أحمد لطفي السيد: (1870م-1963م)، من أعلام النهضة المصرية، لُقّبَ بأستاذ الجيل، كان مديراً للجامعة المصرية، ومديراً لدار الكتب. ولي وزارة المعارف، والخارجية، واختير عضواً في مجمع اللغة العربية.  
(3) - أميل دوركهائم: (1858م-1917م)؛ عالم اجتماع فرنسي، صاحب منهج يجمع بين البحث التجريبي، والنظرية الاجتماعية، ويعد المؤسس للمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع.  
(4) - غوبلو: (1858م-1935م)؛ فيلسوف ومنطقي فرنسي، عين أستاذاً بكلية الآداب في ليون، ومن مؤلفاته: (الألفاظ الفلسفية)، و(العدالة والحرية)، و(علم المنطق).

تاريخ الأدب الفرنسي، وتولى تدريس اللغة العربية في كلية ليون، مكان المستشرق جستون فيت<sup>(1)</sup>، الذي انتقل للتدريس في الجامعة المصرية.

واشتغل مع الأستاذ إدوارد لامبير<sup>(2)</sup> في دراسة أصول الشريعة الإسلامية<sup>(3)</sup>. ولا شك في أن تلك السنوات قد غيرته كثيرًا، وأن هذه الرحلة والإقامة في باريس وليون والدراسة والتدريس كل ذلك كان ذا أثرٍ خطير في حياته<sup>(4)</sup>.

وقد وصف حياته في باريس من خلال مذكراته التي كتبها على لسان (الشيخ حسان الفزاري) الذي جاء إلى فرنسا عام 1909م، وأقام فيها: "عاكفًا على الاستفادة من دروس السوربون وحسن المراقبة لكل ما يمر به في وسطه الجديد، يسكن إلى زاوية من شارع سان جاك، ويعيشُ واصلاً ليله بنهاره في العمل؛ حتى لقد كان من يعرفه من الطلاب المصريين اثنين"<sup>(5)</sup>

زار مصطفى عبد الرازق متاحف باريس، ومقاهيها، ومصحاتها، والشوارع المحيطة بجامعة السوربون، والحي اللاتيني، ومجمع الكوليج دي فرانس، فأعجب بحيوية الشباب، وإقبالهم على القراءة، وتذوقهم للفنون الجميلة، وحرص الهارة على نظافة الشوارع والمرافق العامة، وما لبث أن أحب باريس ووجد فيها مبتغاه من حياة الحضارة والنظام، والمكتبات والجامعات، وكتبَ عنها: "باريس عظيمة، بكل ما تحتمل هذه العبارة من معاني الحياة، والإجلال والجمال، والذوق، والفكر، والانسجام، والخلود.."

---

(1) - جستون فيت: (1887م - 1971م)؛ مستشرق فرنسي، أستاذ جامعي، له كتب عن العصر المملوكي، والتاريخ الإسلامي، وعن مصر والقاهرة.  
(2) - إدوارد لامبير: (1866م-1947م)؛ أحد أعلام الأساتذة في جامعة ليون، وأحد الأعلام المؤسسين للقانون المقارن، والمهتمين بدراسة الفقه الإسلامي.  
(3) - انظر: المعاصرون، محمد كرد علي، ص(435)  
(4) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(49)  
(5) - السابق، ص(81)

باريس جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين؛ فيها للأرواح غذاء وللأبدان غذاء، وفيها لكل داء في الحياة دواء، فيها لكل ما ينزع إليه ابن آدم من جد وهو، ونشوة وصحو، ولذة وطرب، وعلم وأدب، وحرية في دائرة النظام لا تحدها حدود، ولا تقيدها قيود" (1).

وكتبَ في حبِّ باريس: "تدخل باريس محزوناً فيذهب عنك الحزن، وتدخلها ضجرًا فيفارقك الضجر، وتكون مثقلًا بأعباء الحياة فتخفف عنك باريس أعباء الحياة.

باريس بسامة فلا يعرف العبوسُ إليها سيلاً، وجميلة لا ترى فيها إلا جميلاً إن صدى ذوقك فباريس تصقله، وإن خمد ذهنك فباريس تشعله، إذا شئتَ جدّها وجدتَ من باريس مُعينًا على الجد، وإن شئتَ لهُوها لم يقف بك اللهو عند حد" (2) وخلال إقامته في باريس كوّن علاقات قائمة على الودِّ الاحترام مع زملائه وعائلاتهم، حتى أنه حين عاد إلى زيارة فرنسا عام 1924م والتقاء أحد أصدقائه القدامي في ليون، بعد رحيله عنها بعشر سنين، وألحَّ عليه أن يرافقه لزيارة عائلته في الريف، وفي سبيل إقناعه بذلك أقسم له أن والدته تحتفظ بصورته في غرفتها منذ غادر فرنسا، ثم عَقَبَ مداعبًا: "ولولا أنها بنتُ خمسٍ وسبعين سنة لأدركتني غيرة من ودها لك" (3)

ومثل هذه الحادثة اليسيرة تكشف إلى أي مدى كانت شخصية مصطفى عبدالرازق أسرة، وسلوكه الوقور يفرض احترامه على من عرفه في المجتمع الفرنسي وغيره.

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(399)

(2) - السابق، ص(429)

(3) - السابق، ص(402)

وفي يوليو 1912م عاد إلى مصر لمرض والدته، ولم تلبث أن توفيت، فعاد إلى فرنسا في أكتوبر من العام نفسه، وبدأ إعداد رسالته للتقدم للدكتوراه وموضوعها: (الإمام الشافعي أكبر مشرعي الإسلام)<sup>(1)</sup>، ثم أصيب بداء الصدر منذ أوائل عام 1914م، وأقام فترةً في أحد مستشفيات ليون، ثم قامت الحرب العالمية الأولى في يوليو 1914م، فجعل المصريون الذين يدرسون في أوروبا يغادرونها إلى بلادهم، وعاد مصطفى عبدالرازق إلى مصر في أواخر عام 1914م قبل مناقشة الرسالة وإجازتها<sup>(2)</sup>

وقد ذكر ذلك عرضاً غير آسفٍ على ما فاته فقال: "ذهبتُ إلى أوروبا أطلبُ العلم هناك.. ولقد اشتعلت الحرب العالمية فاضطُّرتُّ إلى العودة إلى مصر قبل أن أنال الشهادة التي كنتُ منها قابٍ قوسين أو أدنى"<sup>(3)</sup>

---

(1) - هذه الدراسة تضمنها كتاب (الإمام الشافعي)، الذي صدر عام 1946م، ويضم دراسة معمقة وشاملة لفكر الشافعي، تناول بالتحليل نشأته، وسيرته والعوامل المؤثرة في تفكيره.

(2) - انظر: حولية كلية الإنسانيات، جامعة قطر، ص(238)

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ص(267)

## نشوب الحرب الأولى وعودته إلى مصر

نشبت الحرب العالمية الأولى في يوليو سنة 1914م، وأخذت الحرب تتسع، والخطر ينتشر، ووسائل السفر تتعرقل، واستطاع مصطفى عبد الرازق أن يجد له محلاً في سفينة حملته إلى مصر في أواخر عام 1914م.

وفي هذا العام توقفت (الجريدة) التي كان ينشر فيها مقالاته، فأنشأ مع بعض رفاقه مجلة (السفور)<sup>(1)</sup>، وكان مع بعض الأعضاء يراقبون تحريرها، ويقومون على شيء من إدارتها<sup>(2)</sup>.

عاد مصطفى عبدالرازق من فرنسا محملاً بالعادات الإيجابية للفرنسيين، محاولاً انتقاء النافع منها وطرحها للمناقشة على الساحة الفكرية مثل: الدعوة إلى احترام كرامة الإنسان، وتقديس العمل، وحرية المرأة ومشاركتها الرجل في الارتقاء بجوانب الحياة، وإصلاح مناهج التعليم، والأخذ بمنهج متفرد يعتمد على النقل والعقل<sup>(3)</sup>.

فدعا "إلى تعليم المرأة المصرية واقتباس نظم التعليم من أوروبا، ولكنه كان ينادى بالتمسك بأهداب الدين الإسلامي والتقاليد الشرقية، والمرأة في نظره المنبع الفياض بما في الحياة الإنسانية من حب"<sup>(4)</sup>

وفي أواخر عام 1915م عُيِّن مصطفى عبدالرازق موظفاً في المجلس الأعلى للأزهر، وقد وافق هذا التعيين صعوبات لموقعه من مجلة السفور، ولكتاباته

(1) - مجلة السفور (1914م-1925م): مجلة أسبوعية اجتماعية، نقدية، علمية، أدبية، تبنت حرية الفكر.

(2) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(56)

(3) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(71)

(4) - أدب وطرب، ص(138)

التنويرية فيها، ولعدم تخرجه من الاتصال بأصدقائه الأوروبيين رجالاً ونساءً، كما يتصل بأصدقائه الشيوخ الأزهريين، وغيرهم، ويأنس بهؤلاء وهؤلاء، ولغشيانه بعض الجامعات العامة، وإجابته الدعوة إلى بعض الحفلات الخاصة، وذلك ما لا يطيقه عموم شيوخ الأزهر.

وفي عام 1916م اشترك في الجمعية الخيرية الإسلامية عضواً عاملاً، وفي عام 1920م انتخب عضواً بمجلس إدارتها، ولم يزل يتجدد انتخابه في مجلس الإدارة إلى عام 1941م؛ حيث انتخب وكيلاً لرئيس الجمعية، ثم انتخب رئيساً للجمعية في فبراير سنة 1946م بعد وفاة رئيسها المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي، وبقي في رياستها إلى أن توفي.<sup>(1)</sup>

وفي أواخر سنة 1917م أنشأ الكونت دو برونزور<sup>(2)</sup> جمعية اختار لعضويتها صفوة من الشباب المصريين والأوروبيين ليديروا ما أسموه (جامعة الشعب)، وكان من أظهر أعضائها مصطفى عبدالرازق، والغرض منها إلقاء محاضرات عامة لتثقيف الجمهور، ورفع المستوى العلمي لعامة الناس، ولبي أهل العلم والأدب، ولقيت هذه المحاضرات رواجاً عظيماً، وقد تحدث مصطفى عبدالرازق عن مشاركته العلمية في هذه الجامعة فقال: "ألقيت في جامعة الشعب، التي كنت من أعضاء مجلس إدارتها، سلسلة محاضرات في درس سيرة المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده، ترمي إلى تمثيل صورة صحيحة من أخلاقه، ومعارفه، ومذاهبه في الإصلاح"<sup>(3)</sup>

(1) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(60)

(2) - الكونت دو برونزور: وصفه مصطفى عبدالرازق فقال: "المنسوب الروسي في صندوق الذئب، كان رجلاً فاضل النفس، سامي المقصد، وجيهاً، من كبار أهل العلم والأدب".

(3) - من تقديم مصطفى عبدالرازق لكتاب: الإسلام والتجديد في مصر، تأليف: تشارلز آدمز، ص(و)

وفي سنة 1921م أُحيل من العمل في الأزهر إلى العمل مفتشاً في المحاكم الشرعية<sup>(1)</sup>. وكان العمل في تفتيش المحاكم الشرعية روتينياً ومحدوداً، ما مكَّنه أن يوسِّع نشاطه العلمي والأدبي؛ فانصرفَ إلى الدرس والكتابة، كما وسَّع نشاطه الاجتماعي؛ في الأوساط الأزهرية، والمدنية، والأوروبية، والدينية، وغير الدينية<sup>(2)</sup>.

وخلال هذه الفترة تزوج ابنة عمه، كما أنجز ترجمة رسالة التوحيد للإمام محمد عبده من العربية إلى الفرنسية، وصدرت الترجمة في باريس عام 1925م<sup>(3)</sup>.

---

(1) - انظر: الأزهر في ألف عام، ج3، ص.ص(317-318).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(61).

(3) - السابق، ص(64).



## ندوة مصطفى عبدالرازق

بعد عودة مصطفى عبدالرازق من فرنسا وإقامته في القاهرة وصل حبال التعارف والتآلف مع كثير من المثقفين، والأدباء، وطلاب العلم، وأصبح بيت آل عبدالرازق في القاهرة مثابة للأزهريين وغيرهم من أصدقاء العائلة، وزوارهم من مختلف الأجناس، والأديان، وبذلك أصبح بيته ندوة يقصدها أهل العلم والأدب من المصريين والوافدين، وتدور الأحاديث، والمناقشات حول الدين والأخلاق والفلسفة والسياسة، والأدب والفن ويتنوع الحديث بين الجد والهزل.

يقول الشيخ علي عبد الرازق عن هذا المنتدى: "لا جرم أن هذه الندوة قد أمدت النهضة المصرية بلون طريف من العلم والأدب، وأظهرت بين المصريين طائفة ذات طابع خاص من الثقافة يمتزج فيه القديم بالحديث، وتتآلف عنده الفلسفة والدين، وتفتح في رحابه آفاق البحث، وتنطلق تحت ظلالة مذاهب الفكر. ولا شك أن أخي مصطفى - من حيث كان يريد أو لا يريد، ومن حيث يدرى أو لا يدرى - هو مدار هذه الحركة وقطبها"<sup>(1)</sup>.

وهكذا كان منذ دراسته في الأزهر، ففي منزل آل عبد الرازق في القاهرة كان يلتقي يوم الجمعة أبناء (أبو جرج)، فالدعوة مفتوحة وكان الطلاب والتلاميذ من أبناء (أبو جرج) يكتبون عناوهم في استمارة الالتحاق بالدراسة أو الوظيفة: (بيت

---

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(59)

عبد الرازق، عابدين). فكان آل عبدالرازق هم المرجع لأبناء بلدة (أبوجرج) الوافدين إلى القاهرة؛ للدراسة أو طلب الرزق.

يقول الأستاذ أحمد أمين<sup>(1)</sup> عن منزل صديقه الشيخ مصطفى عبد الرازق ومقر ندوته الأسبوعية: "كان منزلاً يحتفظ بالتقاليد القديمة لبيوت الأسر الكبيرة، يكثر زوارها وتُمدُّ مواعدها غداً وعشاءً، وكان أصدقاء الشيخ من الشباب ينفردون بحجرة في البيت يتلاقى فيها شبان الأزهر بشبان الحقوق ببعض الشبان الذين يتعلمون في أوروبا، فتثار المسائل على اختلاف ألوانها دينية وفلسفية وسياسية واجتماعية، تُتبادل فيها الأفكار والآراء؛ آراء المحافظين تواجه آراء الأحرار، ومؤيدو السفور ينازعون مؤيدي الحجاب، والوطنيون يثرون على الرجعيين"<sup>(2)</sup>.

وقد وصف تلميذه د. شوقي ضيف<sup>(3)</sup> عن هذا المنتدى فقال: "لم يكن منزلاً أو قصرًا للأسرة فحسب، بل كان أيضًا منتدىً كبيرًا يجمع الأزهرى العصري والمثقف ثقافة قديمة، والمثقف ثقافة حديثة، والوزير وغير الوزير من رجال الفكر والقلم، وكان أستاذه<sup>(4)</sup> كوكب هذا النادي بما يجمع من الثقافة الحديثة والفكر الجديد مع التمسك الشديد بالشريعة الإسلامية وروح الإسلام. وكل من عاش هذه الحقبة في تاريخ مصر يعرف ما كان لهذا المنتدى من التأثير الواسع في الفكر المصري حينئذ"<sup>(5)</sup>.

(1) - أحمد أمين: (1886م-1954م)؛ أديب ومؤرخ مصري، اتسم انتاجه بالموسوعية والتنوع.

(2) - انظر: هذا الرجل من مصر، ص.ص(587-588)

(3) - شوقي ضيف: (1910م-2005م)؛ أحد أهم مؤرخي الأدب العربي ودارسيه في العصر الحديث، أكاديمي ومحقق، رأس مجمع اللغة

(4) - يعني مصطفى عبدالرازق.

(5) - معي، ج 1، ص(152)

ومع ذلك فقد تجنّب مصطفى عبد الرازق الخوض بشكلٍ مباشرٍ في المصاومات التي دارت حول كتابي طه حسين وعلي عبد الرازق (في الشعر الجاهلي) و(الإسلام وأصول الحكم)؛ واكتفى بالدفاع عن حرية الفكر وضرورة فصل الرؤى النقدية الفلسفية عن دائرة المعتقدات الدينية، وراح يؤكد على أن التلويح بسيف التكفير ومصادرة الكتب الجامحة لن يمنع المتشككين من ريبتهم، ولن يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويُعرّض في مقالاته بمواقف المخالفين والمصادرين، والمكفّرين<sup>(1)</sup>.

وعن هذه الندوة يقول إبراهيم زكي خورشيد<sup>(2)</sup>: "وأصبح بيته ندوة علم وأدب يجتمع فيها العلماء وشيوخ الأزهر والأدباء، وفيهم المسلم والمسيحي، والعربي والأجنبي، كما تضم الرجال والنساء. وقد أمدّت هذه الندوة النهضة بلون طريف من العلم والأدب، وأظهرت بين المصريين طائفة ذات طابع خاص في الثقافة؛ يمتزج فيه القديم بالحديث، وتتألف عنده الفلسفة والدين، وتفتح في رحابه آفاق البحث، وتنطلق تحت ظلاله مذاهب الفكر... وقد كنا نوّم هذه الندوة ونتعلم منها الكثير، وكان الحاضرون يُدعون جميعاً إلى الغداء إذا حل وقت الغداء، ويقام لهم جميعاً العشاء إذا أقبل وقت العشاء، بل إن معظم الأساتذة في جامعة القاهرة إذ عادوا بعد إتمام دراستهم في أوروبا كانوا يُعدون دروسهم في بيت الشيخ مصطفى على اختلاف تخصصاتهم في الأدب أو في اللغة أو في الفلسفة"<sup>(3)</sup>

---

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(30)  
(2) - إبراهيم زكي خورشيد: كاتب وناقد ومترجم، من الرعيل الأول بكلية الآداب في جامعة القاهرة، توفي عام 1987م.  
(3) - صور ضاحكة، ص.ص(112-114).

ويقول تلميذه وابن بلدته الدكتور حسن محمود واصفًا أياديه على أبناء قريته خاصة فيقول: "كان يوم الجمعة عيدًا في حياتنا نحن طلاب المدارس الثانوية (الجراجوه) أي أبناء (أبوجرج) .. فالدعوة مفتوحة والقصر يستضيف ويستقبل، والشيخ الجليل في مكتبته الحافلة يقطع من وقته ما يسمح باستقبال هؤلاء الطلاب الشبان والسير بهم وتشجيعهم، والسؤال عنهم، بل كنا عند التقدم للمدارس نكتب في خانة ولي الأمر أو المراسل بيت (عبدالرازق في عابدين)"<sup>(1)</sup>.

---

(1) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، كتاب تذكاري، ص.ص(211-212).

## شغفه بالقراءة واقتناء الكتب

تحدث علي عبدالرازق عن شغف مصطفى عبدالرازق بالقراءة فقال: "كان رحمه الله يحب القراءة حباً يكاد يُغَطِّي على كل هواياته، فهو لا يفتأ يقرأ في جميع حالاته. وقد كنتُ أعجبُ له إذ أراه يقرأ وهو فرحٌ أو حزين، غاضبٌ أو راضٍ، مريضٌ أو سليم، كلما تيسرت له القراءة"<sup>(1)</sup>.

وتلك عادة قديمة منذ كان طالباً في الأزهر، فقد كان لا ينفك يقرأ حتى وهو في طريقه ذاهباً إلى الأزهر أو وعائداً منه، وَعَلَّمَ أصحابه ذلك، يقول شقيقه علي عبدالرازق: "عَلَّمنا أن نقرأ ونحن نقطع الطريق مشاة بين بيتنا والجامع الأزهر في مطلع كل صباح قرابة ساعة، وفي مساء كل يوم هذه الفترة"<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لشغفه بالقراءة فقد أصبح مشغولاً باقتناء الكتب وجمعها، لا يدخر في ذلك مالاً ولا جهداً. حتى زحرت مكتبة آل عبدالرازق، فاختر لها غرفة رحبة من الدار أحاطها بدواليب الكتب، فرتبها، ووضع فيها المناضد، والمكاتب، والأوراق، وجمع فيها ما تفرق عند كل واحد من آل عبدالرازق، وما خلفه آباؤهم، مواصلاً إمدادها بما يصدر من الكتب، حتى صارت إحدى المكتبات المعدودة في القاهرة، وقد رُتبت ترتيباً حديثاً ووضعت لها الفهارس الجامعة.

فهو مؤمن بأهمية المطالعة، وقد كتب عن ضرورة القراءة، والحاجة إلى تنمية حبها في النفوس فقال: "إننا قليلو الرغبة في المطالعة قليلو التشوق إلى معرفة ما نجهل؛ لأن عقولنا في لينها لقيت عناء في فهم العلم عن أساتذة لا يحسنون أن

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(66)

(2) - السابق، ص(66)

يعلموا، ومن كتب خالية من سلامة البيان وكمال النظام وجمال التأليف. فتذكار ذلك العناء يبقى في أنفسنا متصلاً بالعلم وماله علاقة بالعلم.

ويجب علينا أن نجاهد أنفسنا حتى يزول عنها الفزع؛ وتذوق لذّة المعرفة وتأنس إلى الكتاب الذي هو خير أنيس في الحياة، كما يجب على أساتذتنا أن يحرصوا في المدرسة على أن يحبوا العلم إلى أولادنا من قبل أن يعلموهم فإننا أحوج شيء إلى أن نُحبَّ العلم" (1)

وكان يتابع باهتمام حركة التأليف والنشر، فلا يكاد يفوته كتابٌ منشور، ويُعنى كذلك بالكتب المخطوطة والنادرة، لا يُبالي ما ينفق فيها من مال، وما يكلفه تفحصها من جهد. وبذلك أصبح واسع الاطلاع في هذا الباب حجة فيه. وهذا ما أهله أن يُدعى إلى عضوية مجلس إدارة دار الكتب المصرية منذ العام 1932م، وفي العام نفسه أُختير عضواً في لجنة الاستماع بالإذاعة المصرية. وفي العام نفسه دُعي للمشاركة في مؤتمر (تاريخ الأديان) في لندن، وألقى بحثاً عن (الصوفية والفرق الإسلامية).

ويذكر شقيقه علي عبدالرازق إحدى نتائج شغفه بالقراءة؛ التي انعكست على أبحاثه فيقول: "ومما تسهّل ملاحظته للمتأمل أن جُلَّ كتبه ومباحثه العلمية كثيراً ما تذكر فيها مراجع متنوعة من كتب وفنون شتى على وجه يدل دلالة ظاهرة على سعة اطلاع وإحاطة شاملة" (2)

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(366)

(2) - السابق، ص(68)

## مصطفى عبدالرازق أستاذًا في الجامعة

في أواخر عام 1927م عُرض على مصطفى عبدالرازق أن يُنقل من تفتيش المحاكم الشرعية إلى وظيفة أستاذ مساعد للفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة، إذ اقترح الدكتور طه حسين "أن يقوم الشيخ مصطفى عبدالرازق بتدريس مادة الفلسفة الإسلامية في كلية الآداب"<sup>(1)</sup>. فقبل ذلك، وحقَّق في مجال التدريس نجاحًا وتفوقًا أحلَّاه في الوسط الجامعي محلاً مرموقًا.

وقد هيأته صلته الوثيقة بالقراءة، وشغفه بالكتاب والدرس لأن يكون أستاذًا في الجامعة يملأ كرسيه ويقوم بين بقية الأساتذة مقامًا عاليًا.

فهو أول أستاذ مصري مسلم يدرس الفلسفة الإسلامية لأكثر من عشر سنوات بالجامعة المصرية (1927م - 1938م)<sup>(2)</sup> "وإليه يرجع الفضل في الامتداد بعلوم الفلسفة الإسلامية لتشمل علم الكلام، وأصول الفقه"<sup>(3)</sup>

وهو أول أستاذ للفلسفة الإسلامية في الشرق<sup>(4)</sup> كما يقول تلميذه الدكتور توفيق الطويل<sup>(5)</sup>.

وقد تجلَّت في التدريس مواهبه التي هيأت له أن يكون مثلاً أعلى للأستاذ الجامعي؛ وفتحت مناهج الحياة مستقيمة، سليمة، وأخذ يتدرَّج في مراقبها بنجاح

---

(1) - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ص (61)  
(2) - انظر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص(266)  
(3) - كيف أصبحوا عظماء، ص(166)  
(4) - أساتذتي، نجيب محفوظ، ص(186)  
(5) - توفيق الطويل: (1909م-1991م)؛ أستاذ كرسي الأخلاق بقسم الدراسات الفلسفية بجامعة القاهرة، له دراسات وترجمات عديدة في مجال الفلسفة.

واقْتدار<sup>(1)</sup>. مُحبًّا للعلم وطلابه؛ كما يصفه طه حسين بقوله: "إن مصطفى عبدالرازق لا يعرفُ محبًّا لطلب العلم مخلصًا في هذا الحب، إلا سعى إليه، واتصل به، وقرَّبَه منه، وفتح له قلبه وعقله وداره أيضًا"<sup>(2)</sup>.

أما عوامل هذا النجاح الكبير في مجال التدريس الجامعي فيلسفها شقيقه علي عبد الرازق قائلاً: "مهها ذَهَبَتْ في إدراكها الظنون فلا بُدَّ أولاً وآخرًا من تفويضها إلى الله الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر، بيِّدَ أن هنالك ما قد يبدو لعقولنا أنه من الأسباب التي يهيئها الله لمن يريد أن يكون من الناجحين وقد توفر لأخي مصطفى كثير من تلك الأسباب التي رشحته لأن يكون أستاذًا ناجحًا"<sup>(3)</sup>

ولم يكن هذا النجاح مفاجئًا لمن عرف مصطفى عبد الرازق، فقد كتب صديقه طه أحمد إبراهيم<sup>(4)</sup> في مجلة السياسة عند توليه مقام التدريس في الجامعة عام 1927م، مقالًا بعنوان: (إلى الشيخ مصطفى عبدالرازق)؛ جاء فيه: "إذ وِكِلَ إليكم تعليم الفلسفة العربية في الجامعة، فما أفدركم على استجلاء ما كتب فيها بالعربية، وتقريبه مع روح العصر، وما أعلمكم بحركة التجديد في الفلسفة الحديثة منذ القرن الثامن عشر، ذلك إلى ما عُهد فيكم من الهدوء عند البحث، والاعتدال في الرأي، والنصفية في الحكم، وإن لكم في البيان أسلوبًا عذبًا تنشره على ما عهدوه في العبارة الفلسفية من غموض فتجعلها سائغة، وتلك إحدى أمانينا"<sup>(5)</sup>.

(1) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(66)

(2) - كتب ومؤلفون، ص(91)

(3) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(66)

(4) - طه أحمد إبراهيم: (1874م- 1939م)، باحث وأكاديمي، نال دبلوم جامعة السوربون في العلوم السياسية، عام 1925م، وعين أستاذًا في كلية الآداب عام 1929م.

(5) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج 1، ص(32)

ويروي صديقه الأستاذ محمد كرد علي<sup>(1)</sup> "أن الملك فؤاد الأول زار كلية الآداب في الجامعة المصرية في بعض الأيام ودخل القاعة التي كان الأستاذ مصطفى عبد الرازق يُلقي درسه فيها فوقفَ المليك يستمع اليه هنيهة، والأستاذ يشرح الدرس لطلبته كأنه لم يدخل عليه أحد. وفي هذه الدقائق تجلّت عظمة العلماء وجلال العلم"<sup>(2)</sup>

وهو لا يتعصّب لانتماءاته الحزبية؛ فهو يؤمن بأن كل حزب يقدم رؤيته في خدمة الوطن، وإن اختلفت السبل، ويدلُّنا على هذه الروح المتسامحة صداقاته مع المختلفين، وهذا زميله الدكتور إبراهيم مذكور يتحدث عن علاقتها فيقول: "بعد إتمام بعثتي قمت بالتدريس في كلية الآداب، في قسم الفلسفة الذي كان يرأسه (مصطفى عبد الرازق) وهنا قامت علاقة وثيقة بيننا لم تغيرها أحداث الدهر في شيء؛ فقد كنت عضواً وفدياً في مجلس الشيوخ، وكانت له صلواته الوثيقة بحزب الأحرار الدستوريين، وأشهد بأنه لم يكن لذلك أيُّ أثرٍ على زمالتنا ومودتنا، وتعاوناً بصدق في خدمة الدرس الفلسفي وبخاصة الفكر الإسلامي"<sup>(3)</sup>

ولم يمضِ وقتٌ طويلاً بعد تعيينه أستاذاً للفلسفة حتى غدا بين طلاب الجامعة أستاذاً يحبهم ويحبونه، وأصبح من بره بهم وإخلاصه لهم أباً رحيماً وأخاً كريماً.

وكان له أسلوبه الخاص في التعليم الجامعي، فلم يكن التعليم عنده مجرد إلقاء الدرس على الطلاب وتلقيهم إياه، ولكنّه صلة عقلية يُنشئها بينه وبين طلابه، فهو يُشركهم معه في بحث الموضوعات واستخراجها من مظانها، وفي مناقشة

(1) - محمد كرد علي: (1876م-1953م)؛ مفكر سوري، أول وزير للمعارف في سوريا، ورئيس مجمع اللغة العربية في دمشق منذ تأسيسه عام 1919م، وله مؤلفات وبحوث وتحقيقات تُعدّ من عيون الثقافة العربية المعاصرة.

(2) - المعاصرون، ص(436)

(3) - مع الأيام، ص.ص(103-104)

المسائل وفهم النصوص وتحرير الآراء. وهو في كل ذلك يراجعهم ويراجعونه، ويعينهم ويعينونه؛ حتى لكان كلهم لكلهم أساتذة، وكلهم لكلهم طلاب!<sup>(1)</sup>.

وهكذا يصير درسه عبارة عن مجتمع تتقارب فيه الأرواح وتتآلف فيه النفوس وتنبت في جنباته عواطف الصدق والإخلاص، وبهذا المنهج الجامعي كان يربي طلابًا يُجبههم ويحبونه، وينشؤون على ما عوّدهم إياه من سنن العلماء وآدابهم، ومن الجد في طلب العلم لذاته والمثابرة عليه<sup>(2)</sup>.

فهو من أكثر المفكرين المسلمين إحاطة ومن أشدهم ابتكارًا، وكان واسع المعرفة بمذاهب الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية، وكان على دراية بالمبادئ الأساسية في العلوم الاجتماعية وغيرها، ولقد أمدته تلك المعرفة بمادة خصبة صاغت عبقريته، وفوق هذا فله فلسفة خاصة فيها نزوع إلى العمل وتغليبه على جوانب النظر<sup>(3)</sup>.

وهو بهذا يسير بالفلسفة مسارًا تصحيحيًا؛ يسدُّ به العديد من الثغرات التي صاحبت مباحث الفلسفة على مدى العصور، ومن بواعث نظره هذا ما يكتنزه من علوم الشريعة، ومعارف علمية راسخة، وتجارب عملية واسعة، وما أوتي من ذهن وقاد، ينزع إلى الاستقلالية، وحب التجديد.

وله أسلوبه الخاص في التدريس؛ المعتمد على نقل النصوص المطوّلة من مصادرها الأصلية؛ ليتعامل الطلاب معها على نحو مباشر، وهذا ما لفت نظر غير واحدٍ من طلابه، ومنهم تلميذته الدكتورة عائشة بنت الشاطيء<sup>(4)</sup> فتقول: "أستاذنا حريص على ذكر المراجع التي ينقل عنها في بحثه، أو يشير إليها في درسه، ثم هو

(1) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(68)

(2) - السابق، ص(69)

(3) - انظر: المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرزاق، ص (11)

(4) - عائشة بنت الشاطيء: (1913م-1998م)؛ كاتبة ومحقة، وأكاديمية دُرِّبَتْ في عددٍ من أهم الجامعات العربية، واشتهرت بموسوعتها عن: (نساء بيت النبوية).

بعد هذا يميل إلى التفصيل، ويصبر أحياناً على نقل نصوص كاملة من مراجعتها القديمة؛ حرصاً على الصياغة التعليمية التي تراعي حاجة الطلاب إلى مراجعة النصوص الكثيرة، وحسن التقدير والفهم للأساليب المتفاوتة.

وتجلى في هذه الميزات، شخصية المؤلف، في تواضعه العلمي، ودقته وأمانته، وبراءته من الغرور والادعاء، وتقديره لحاجة الطلاب، وصبره النادر على المراجعة والدرس<sup>(1)</sup>.

ولقد شاع أثره في نخبة ممتازة من طلابه الذين أصبحوا أعلاماً في مجالات شتى، وذلك ما أشار إليه علي عبد الرازق حين قال: "وإنك لتكاد تميز بين الأجيال الأخيرة من رجال الجامعة من كانوا من طلابه بما تلمح في آثارهم وأعمالهم من نفحاته وتوجيهاته وطريقته... ولا تكاد اليوم<sup>(2)</sup> تجد أحداً من طلابه الذين تخرجوا على يديه إلا وهو يحفظ له ذكراً جميلاً ويكنُّ له حباً صادقاً واحتراماً وإخلاصاً"<sup>(3)</sup>.

ولم تنقطع صلته بطلابه من دارسي الفلسفة، بعد أن ترك الجامعة إلى الوزارة، فقد كان يشرف على رسائلهم، ويكتب المقدمات لكتبهم، وترجماتهم، وتتحوّل صلة التلمذة إلى صداقة ممتدة، فلا يبخل عليهم بالرأي والتوجيه، فانتخبه زملاؤه وطلابه رئيساً فخرياً للجمعية الفلسفية المصرية<sup>(4)</sup>.

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(73-74).

(2) - يوم كتابة هذه الترجمة، عام1957م.

(3) - انظر: من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(69).

(4) - حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص(266).

وبقي على تلك المودة وحُسن الصلة بهم حتى آخر يومٍ في حياته؛ فقد كان صادقاً حين قال في تقديمه لكتاب أحد طلابه: "إذا لم يكن لنا من طلابنا أصدقاء فليس لنا في الدنيا صديق" (1)

وما أكثر الشواهد على تلك العلاقة، وذلك الإعجاب والحب، من كلام طلابه الذين أصبحوا أعلاماً في الفلسفة والأدب ومجالات الحياة المختلفة؛ ومنهم نجيب محفوظ (2) الذي تحدّث كثيراً عن أستاذه مصطفى عبد الرازق، ومما قال عنه: "رجلٌ واسع العلم والثقافة، ذو عقلية علمية مستنيرة" (3). ويقول في كتابه أساتذتي: "أما أعظم شخصية دينية فكان الشيخ مصطفى عبدالرازق رحمه الله، فقد كان عالماً عظيماً؛ يقربك من إشراق وحقيقة الدين، بروحه العظيمة وأدبه الجم" (4)

ويصفه قائلاً: "أنبل وأعظم الشخصيات التي عرفتها في حياتي، لذلك تأثرت به تأثراً شديداً منذ أن تعرفت عليه كتلميذ لأستاذه في كلية الآداب بين عامي ثلاثين وأربعة وثلاثين أثناء تدريسه للفلسفة الإسلامية؛ التي كان يعتبرها والفلسفة بشكل عام باباً من أبواب المعرفة وتقدير الحياة والدخول فيها. وكان أستاذاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فهو يحاول أن يكون للطالب عقلٌ يقوم على أسسٍ صحيحة من الفكر ومن الفهم؛ وإعطاء ذلك كله جميع ما يستحقه من صبرٍ وجلّد. فقد كانت له طريقة معينة في التدريس، حيث يطلب أن نقرأ النص، ونفهمه باجتهادنا، وننقده بعقلنا. وكان يفتح باب بيته لكل تلامذته، فيذهبون إليه، ويعقد معهم ما يشبه الندوة، وتدور بينه وبينهم مناقشات في الأدب والفلسفة والفكر والحياة العامة، وكان يسمح لمن يريد من تلامذته باستعارة

(1) - من تقديمه لكتاب: الإسلام والتجديد في مصر، لشارلز آدمز، ص(ل)، ترجمة عباس محمود.  
(2) - نجيب محفوظ: (1911م-2006م)، راند الرواية العربية، وأول عربي ينال جائزة نوبل للآداب عام1988م.  
(3) - نجيب محفوظ: صفحات من مذكرات، ص(63).  
(4) - أساتذتي، ص(150)

الكتب من مكتبته، فقد كان صدره متسعاً جداً لنا ولكل الناس، فهو مثال للحكيم الذي كُنَّا نسمع عنه ونقرأ عنه في الكتب والأساطير" (1).

وهذا شيءٌ من أثره في نفوس طلابه، ومثاليته في عيونهم، نقلته لنا تلميذته الدكتورة عائشة بنت الشاطي فقالت: "لقيناه في مستهل دراستنا الجامعية، في تلك المرحلة الدقيقة الحاسمة التي تصطدم فيها مُثُلنا (الخيالية) بالواقع القاسي، فكان أحد الأساتذة القلائل الذين أمسكوا علينا بقيّة من إيماننا بالحق والخير والجمال، وعصمونا من الانهيار أمام الصدمة المباغته، حين تهاوت - بين سمعنا وبصرنا - أكثرُ المُثُل التي رسمها لنا الوهم، وزينها الخيال.

كان أحد الأساتذة القلائل، الذين علّمونا أن الجامعة ليست اسمًا أجوف، ولا زينة بلهاء، ولا لقبًا يُحمل، ولا شهادة تُنال، ولا منصبًا يُقلد، وإنما هي شيء أعمق من هذا كلّه، وأجل من هذا كلّه.

هي روحٌ وتقليدٌ وميراثٌ، وأمانةٌ وعقيدةٌ وإيمان.

هي عقلٌ ناضج، وأفقٌ واسع، وفكرٌ حر، وقلبٌ كبير، وخلقٌ كريم، وضميرٌ حي. هي في الدرس منهج، وللطلاب فكرة وهدف، وفي الأساتذة قدوة ومثال، وللوطن حصن وملاذ.

وهي وحدها - ولا شيء غيرها - صلةٌ ما بين الطالب والأساتذ، تُنزل الأول من الثاني، منزلة الابن والصديق، والتلميذ والمريد" (2)

---

(1) - أساتذتي، ص(151)  
(2) - الكنز الضائع، مقالة للدكتورة بنت الشاطي، جريدة الأهرام، 17 فبراير 1950م، وانظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(33)

ويقول تلميذه توفيق الطويل: "هو أول من عرفنا (بالكندي<sup>(1)</sup>) فيلسوف العرب، و (الفارابي<sup>(2)</sup>) المعلم الثاني، بعد (أرسطو<sup>(3)</sup>)"<sup>(4)</sup>

ويقول تلميذه الدكتور محمد علي العريان<sup>(5)</sup> في مذكراته: "مصطفى عبدالرازق الأنيق الرشيق هو الذي قال لنا: ما لم تفكروا وما لم تُكُونُوا لأنفسكم فلسفة في الحياة نتيجة للتفكير، فسوف تظلون في ضحالة وهُزال؛ وأتَعَسُ الناس من تزيد معرفته ويقل تفكره"<sup>(6)</sup>

ويتضح جانبٌ من مدرسته الفلسفية، وتجديده في مناهج الدرس الفلسفي من خلال حديث أحد نوابغ طلابه: الدكتور شوقي ضيف؛ الذي كتب عن منهجه في تدريس الفلسفة فقال: "وعَيَّنَ الشيخ مصطفى بكليّة الآداب أستاذًا مساعدًا للفلسفة الإسلامية. وظل يحتفظ بزیه الأزهري في صورة أنيقة دون بهرجة، وكان يَحْفُ به وقارٌ ومهابةٌ وجلال، كما كان يَحْفُ به حُبُّ طلابه لسماحة نفسه وكريم شمائله؛ إذ كان يفتح قلبه، وكان غاية في التواضع، وأدب الحديث دون أي ترفع، وكأنه أبٌ رؤوفٌ أو صديقٌ عطوف. وكان يذهب في محاضراته مذهبًا لم يسبق إليه؛ هو أنه ينبغي ألا يُعَوَّلَ في دراسة الفكر الإسلامي على كتب الفلسفة الإسلامية وبيان جذورها وفروعها فيه، بل يُعَوَّلَ على كتب أصول الفقه والتشريع الإسلامي؛ حيث يتضح اتضاحًا تامًا استقلال هذا الفكر وأنه لا يُسْتَمَدُّ من مصادر أجنبية، بل يعتمد على ذاته؛ إذ نشأت مقوماته وتطورت داخل العقل العربي الإسلامي الخالص، وكان يتتبع حياة هذا الفكر وأصوله تتبعًا علميًا

- 
- (1) - الكندي: (185هـ - 256هـ)؛ فيلسوف عربي، اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية.
  - (2) - الفارابي: (260هـ - 339هـ)؛ فيلسوف عربي، موسوعي.
  - (3) - أرسطو: (384ق.م - 322ق.م)؛ فيلسوف يوناني، مؤسس مدرسة الفلسفة المشائية، والتقاليد الأرسطية.
  - (4) - أساتذتي، ص(186)
  - (5) - محمد علي العريان: تربوي وأكاديمي مصري، نال الدكتوراة في فلسفة التربية من الولايات المتحدة الأمريكية؛ عام1952م.
  - (6) - كيف أصبحوا عظماء، ص(176)

خصباً... وكان الفتى<sup>(1)</sup> ورفاقه يُشغفون شغفاً شديداً بمحاضرات الشيخ مصطفى عبد الرازق وما يثير فيها من آراء وأفكار، وكان قد تعمق الثقافتين: الأزهرية القديمة، والفرنسية الحديثة؛ فكان محافظاً وفي الوقت نفسه كان مجدداً. أو بعبارة أخرى كان يجمع بين المحافظة وخير ما فيها والتجديد وخير ما فيه، فهو من الرعيل الذي استظهر إلى أقصى حد شخصية أمته الإسلامية العربية المصرية مع التزود بالفكر الغربي الحديث تزوداً من شأنه أن يجلو هذه الشخصية ويبرز خصائصها العقلية على نحو ما كان يُبرِّزُ الشيخ مصطفى عبد الرازق للفكر الإسلامي خصائصه ومقوماته وطوابعه. وكان ما يزال يعرض على الفتى ورفاقه في محاضراته آراء الفلاسفة والمفكرين الغربيين والعرب من أمثال: رينان<sup>(2)</sup> و كار دي فو<sup>(3)</sup> وجولدتسيهر<sup>(4)</sup> والشهرستاني<sup>(5)</sup> وابن القيم<sup>(6)</sup> وابن خلدون<sup>(7)</sup>، و يناقشهم جميعاً محاولاً بكل قوته أن يرفع صرح الفكر العربي الإسلامي في مجال أصول الفقه، لبنة من فوقها لبنة، وفكرة تعلوها فكرة. وكان حين يتناول آراء القدماء والمحدثين من العرب والغربيين يحرص على الإنصاف الشديد في عرضها دون أي تحيُّفٍ أو تعصُّبٍ لفكرة أو لشخص، وكأنها كانت في يديه موازين عادلة: فهي تزن بالقسطاس دون أن تميل يمناً أو يسرة. وكان لهذا الإنصاف والعدالة في الأحكام والآراء أثرهما البعيد في نفس الفتى، إذ تعمقا ضميره ووجدانه<sup>(8)</sup>

- 
- (1) - الفتى: يعني نفسه، فهكذا كان شوقي ضيف يشير لنفسه في مرحلة الصبا من مذكرات.
  - (2) - رينان: (1823م-1892م)؛ كاتب ومؤرخ، ومستشرق فرنسي.
  - (3) - كار دي فو: (1867م - 1953م)؛ مستشرق فرنسي، مهتم بأعلام الفكر الإسلامي.
  - (4) - جولدتسيهر: (1850م- 1921م)، مستشرق مجري، وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.
  - (5) - الشهرستاني: (479هـ - 548هـ)؛ أحد علماء الكلام المسلمين.
  - (6) - ابن القيم: (691هـ - 751هـ)؛ فقيه ومحدث ومفسر، أحد أبرز علماء المذهب الحنبلي.
  - (7) - ابن خلدون: (732هـ - 808هـ)؛ مؤسس علم الاجتماع، مؤرخ وأديب وفقيه، ولد بتونس، وتوفي بالقاهرة.
  - (8) - معي، ج 2، ص(112-113).

أما منزلة الأخلاق في فكر وسلوك مصطفى عبدالرازق فيوجزها أحد  
أخص تلاميذه؛ الدكتور عثمان أمين<sup>(1)</sup> فيقول: "كان أستاذًا يعتقُد أن هناك شيئًا  
فوق العلم وفوق الفن، وهذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم الأخلاق"<sup>(2)</sup>

ولم تكن تلك الأخلاق مجرد تنظيرات فلسفية، بل كانت مكونًا أساسيًا في  
شخصيته، وتلك هي أبرز سماته التي وَسَعَتْ كُلَّ من عرفه، فهو "مثال للحكيم  
كما تتصوره كتب الفلسفة؛ هادئ الطباع، خفيض الصوت، لا يفعل"<sup>(3)</sup>.

وظل مصطفى عبدالرازق يحقق النجاح تلو النجاح في عمله بالجامعة وغدا  
بين طلابه أستاذًا يحبهم ويحبونه، ويأوون من حَدَبِهِ عليهم وِبِرِّه بهم وإخلاصه لهم  
إلى أب رحيم وأخ كريم وأصبح ملء السمع والبصر في الجامعة، يملؤها حيوية  
وعلمًا وأدبًا، ومن ثم رُقِّيَ إلى درجة أستاذ عام 1930م<sup>(4)</sup>

ولهذا يدوّن الدكتور إبراهيم مذكور هذه الشهادة لزميله في الجامعة والمجمع  
فيقول: "لقد كان حقًا شيخَ مدرسة، وكبير أسرة متشعبة؛ أحبة تلاميذه، وسعدوا  
دائمًا بلقائه، وأفادوا من نصحه وتوجيهه، وكم وكل إليهم أعمالاً كان يُحِبُّ أن  
يتولاها، فأعطاهم نصوصًا مخطوطة لكي يقوموا بتحقيقها، ونشرها، وفتح  
أمامهم أبواب دراساتٍ اضطلعوا بها، ولقد خلفَ فعلاً مدرسة غزيرة العطاء  
متنوعة الإنتاج... كان رئيس مدرسة؛ كوّن جيلًا من باحثين ودارسين عمّرت بهم  
كلياتنا الجامعية، وأفادت منهم الجامعات العربية الناشئة في الأقطار الأخرى،  
حرص على أن يُعوّد أبناءه، على دراسة المتون والنصوص وفي ذلك ما فيه من  
صقل، ومحاولة استخلاص للمعاني في مدلولاتها الصحيحة، واستطاع كثير من

(1) - عثمان أمين: (1905م - 1978م)؛ أحد أهم أساتذة قسم الفلسفة بجامعة القاهرة، ومفكره، له عدد من الكتب المهمة  
في الفلسفة، وأخرى ترجمها إلى العربية.

(2) - راند الفكر المصري، ص(224).

(3) - نجيب محفوظ: صفحات من مذكرات، ص(63)

(4) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(39)

تلاميذه - في ضوء هذا - أن يكون له أسلوبٌ عربيٌّ سليمٌ بجانب تمكنه من لغة أجنبية، وما كان أحبَّه إلى تلاميذه، كانوا يعدونه جميعاً أباهم الروحي، ولا أشك في أنه كان يعاونهم ما دعت إلى ذلك حاجة" (1)

وتوالى خلال تدريسه في الجامعة إسهاماته الفكرية في مجال الفلسفة الإسلامية، حتى لقد أصبح الأستاذ الأول للفكر الفلسفي الإسلامي في التاريخ المعاصر (2)

يُلخِّصُ تلميذه الدكتور أبو الوفا التفتازاني (3) منهج مصطفى عبدالرازق في إيمانه بأن بناء ثقافتنا وإعادة مجد أمتنا يكون بانفتاحنا على ما هو جديد مع احتفاظنا بالقديم بحيث لا يطغى القديم على الجديد، ولا الجديد على القديم، وأن نكون يقظين تجاه محاولة تشوية تراثنا الفكري الإسلامي، وأن نثق بأنفسنا وتراثنا الحضاري، وأن ننشر ما لم يُنشر منه حتى نحكم عليه الحكم الصحيح (4)

ويتحدث الدكتور أبو الوفا التفتازاني عن أبرز تلاميذه، ومدى تأثيرهم بمدرسه الفكرية فيقول: "وأذكر من تلاميذ مصطفى عبدالرازق الذين تابعوا منهجه الأستاذ الدكتور عثمان أمين الذي اتجه إلى دراسة محمد عبده وأثره في حياتنا الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية، والأستاذ محمود الخصري (5) والأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة اللذين اتجها إلى ميدان علم الكلام أساساً، ونشرا كثيراً من نصوصه محققةً إلى جانب ما صنَّف في ميدانه من دراسات، والأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي (6) والأستاذ الدكتور توفيق الطويل

(1) - انظر: مع الأيام، الصفحات: (99، 103، 104).

(2) - انظر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص (242)

(3) - أبو الوفا التفتازاني: (1930م - 1994)؛ فيلسوف مصري، وكاتب وأستاذ جامعي.

(4) - انظر: الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، عدد تنكاري، ص (75).

(5) - محمود الخصري: (1906م - 1960م)، مترجم، وأستاذ في الفلسفة.

(6) - محمد مصطفى حلمي: (1904م - 1969م)؛ أكاديمي وأستاذ للفلسفة، وهو أحد تلاميذ مصطفى عبدالرازق، وله عديد المؤلفات في الفلسفة.

اللذين اتجها إلى دراسات التصوف وشخصياته، فدرس أولهما ابن الفارض،  
وثانيهما الشعراني، ونظرية الأحلام عند مفكري الإسلام، والأستاذ الدكتور أحمد  
فؤاد الأهواني الذي اتجه إلى دراسة التربية عند المسلمين وعند أحد علمائها وهو  
القاسبي، والأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت الذي اتجه إلى دراسة ابن مسكويه  
وآرائه الأخلاقية، والأستاذ الدكتور على سامي النشار الذي عُنَى بدراسة مناهج  
البحث عند مفكري الإسلام، وكثير غيرهم. وهؤلاء الأساتذة الأجلاء دراسات  
عميقة متنوعة لنواحي الفكر الفلسفي الإسلامي، لها قيمتها وأصالتها"<sup>(1)</sup>

---

(1) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، كتاب تذكاري، ص(80-81).

## صلته بتلاميذه وتأثرهم به

لقد كان حب مصطفى عبدالرازق للعلم نابغاً من إيمانه بقيمة العلم، وأنه المجد الباقي والمجد الذي لا يدانيه مجد آخر. فكانت له مساهمة فكرية تنم عن صدق حبه للعلم ومدى اهتمامه به، فنادى بإصلاح طرق التعليم، ونقد الطرق العقيمة منذ كان طالباً في الأزهر. وحين أصبح أستاذاً في الجامعة امتاز منهجه التعليمي بالموضوعية والنزاهة وتربية طلاب العلم على الجد والتحصيل، والرجوع الى أصول البحث العلمي، واعتنى بتربية الروح العلمية في الأمة وترقية المستوى العقلي فيها<sup>(1)</sup>، "فبمجرد دخوله حرم الدرس يخلع العمامة الجليلة يضعها على المنضدة المستطيلة، وبجوارها ساعته الدقيقة الأنيقة؛ كأنه يشير بهما إلى تعظيم العلم وتقدير الوقت في آنٍ واحد"<sup>(2)</sup>.

وقد عاش في الجامعة وبعدها وثيق الصلة بتلاميذه، فهو يصف تلك العلاقة بعد أن غادر الجامعة إلى الوزارة فيقول: "الأستاذية في الجامعة تكون الصلة فيها بين الأستاذ والطالب على أساس التعاون العقلي، وعلى نوعٍ من التعاطف يشبه جداً ما بين الآباء والأبناء"<sup>(3)</sup>

فقد كان خير معلمٍ ومؤدبٍ لشباب الجيل، فكان كثيرٌ من الأدباء والمفكرين والمبرزين في ميادين الحياة يدينون له بفضلٍ عظيم<sup>(4)</sup>.

(1) - انظر: المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرزاق، ص (25).

(2) - سيرة الحبايب، ص (104).

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص (219).

(4) - أدب وطرب، ص (132).

ويتحدث صديقه الأديب أحمد أمين عن ملاءمة طبيعته للتدريس في الجامعة فيقول: " كان أستاذًا للفلسفة الإسلامية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، فكان في مكانه الذي يتفق وهدوءه وسكينته وعقليته ومزاجه، سرعان ما امتدت أسبابُ الودِّ بينه وبين طلبته فأنسوا به وأنس بهم، وأحبوه وأحبهم، وكان مقصدهم العلمي والخلقي في الكلية وفي البيت وحيث يكون؛ يعرضون عليه مشاكلهم العلمية، ومشاكلهم النفسية، ومشاكلهم العائلية، فكان لهم أباً رحيماً، وكانوا له أبناءً بررةً، فإذا تخرج متخرجهم كان للأستاذ أخصاً صغيراً وصديقاً وقيماً، وهو - من ناحيته - لا يكَلِّ في السَّعي لهم حتى يطمئنوا في حياتهم، ثم يوعز إليهم بأساليبه الظريفة أن يستمروا في البحث والدرس والإنتاج، ويُشرك الكثيرَ منهم في تحضيرِ دروسه معه، وحلَّ ما يعرض من المشاكل الفلسفية، فربى رجالاً كما ربى عقولاً، ومكَّنه الاتصال بطلبته أن يتعرَّفَ خواص كلِّ منهم وموضع قوته وضعفه، فعالج وشجَّع ووجَّه، حتى رأينا (قسم الفلسفة) في الكلية ينشط في البحث والإنتاج، وينشر الفلسفة بين الناس، ويجيبها إليهم بفضله" (1)

وعن الأثر الذي تركه في طلابه يقول الدكتور محمد الزيني: "في السبعينات من القرن العشرين كانت سيرة الشيخ مصطفى عبدالرازق تملأ أروقة كلية الآداب، بجامعة القاهرة؛ وعلى الرغم من بُعد الشُّقة بين وفاته في الأربعينات، ومحاضرات السبعينات إلا أن ذكراه العطرة، وسيرته الطيبة، ومنهجه العلمي، كان يسود قاعات الدرس، ويفرض نفسه على معظم دروس الفلسفة التي تلقيناها عن السادة العلماء. وقد ساعد على بقاء ذكرى الشيخ الجليل حية نابضة، وجود نفر من الأساتذة الذين تلقوا العلم على يديه مباشرة" (2)

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(53)

(2) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(11)

ولا أصدق من شهادة الطلاب لأستاذهم، وهذه شهادة تلميذه الدكتور عثمان أمين واصفًا علاقته به قائلاً: "تلمذت عليه أكثر من عشرين عامًا فأحببته وشرَّفني هو بحبه واصطفاني، وكان لي أباً روحياً، وكان بي حفيماً" (1)

ولا عجب أن يبقى ذكره حياً في نفوس تلاميذه، وأن يترك في نفوسهم وعقولهم أعمق الأثر، وأزكى الذكريات، بما حباه الله من جميل الصفات، ولما أولاهم من الحب، وما محضهم من النصح، وما ربطه بهم من الصداقة الخالصة، والمعونة الدائمة، وهو يمجّد هذه الصداقة بينه وبين تلميذه؛ فيقول: "إذا لم يكن لنا من تلاميذنا أصدقاء فليس لنا في الناس صديق" (2).

ويُصدِّق هذه المقولة مواقف وكلمات عديدة؛ منها قوله في تقديمه لكتاب (ابن الفارض، والحب الإلهي) تأليف تلميذه الدكتور محمد مصطفى حلمي: "إن إعجابي بالمؤلف وتقديري له يرجع العهد به إلى سنوات مضين منذ كان يُعدُّ هذه الرسالة الجامعية التي كان لي حظ الاشتراك في نظرها ومناقشتها" (3)

وقوله في تقديمه لكتاب (الأحلام) تأليف تلميذه الدكتور توفيق الطويل: "وقد غاب عني توفيق الطويل مُدَّةً، وكثيراً ما يغيب عني هؤلاء الأبناء زمناً، تغمرهم الحياة وتغمرني، ثم نلتقي فكأننا لم نتباعد ولم نفترق" (4)

هذا الأسلوب المهذب، يُعبّر أحسن تعبير عن التواضع الجَم، ودماثة الأخلاق، والرقّة في التعامل مع تلاميذه.

(1) - رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، ص(223)

(2) - من تقديمه لكتاب: الإسلام والتجديد في مصر.

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(148)

(4) - السابق، ج2، ص(149)

ومن تلاميذه عبد الرحمن بدوي، الذي أشرف على رسالته للدكتوراه عن (الوجودية)، حتى بعد أن صار وزيراً<sup>(1)</sup>.

والأديب العالمي نجيب محفوظ الذي بقي محباً ووفياً لمصطفى عبد الرازق؛ يُشيد به في كل مناسبة. والدكتور علي سامي النشار الذي أكمل ما بدأه أستاذه من التأريخ للفلسفة الإسلامية، والدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والدكتور توفيق الطويل، والدكتور محمد مصطفى حلمي، والدكتورة عائشة بنت الشاطيء، وغير هؤلاء عشرات الأساتذة الكبار الذين ترك مصطفى عبدالرازق بصمته وتأثيره على شخصياتهم، ونتائجهم، وطُبعت محبته في قلوبهم.

ويدلنا على وطادة صلته وقوة تأثير في طلابه - إضافةً إلى تقديمه كتبهم، وإشرافه على رسائلهم - إهداؤهم كتبهم إليه؛ ومن ذلك إهداء الدكتور توفيق الطويل كتابه: (قصة الاضطهاد الديني)، فعلى صفحته الأولى كان هذا الإهداء: "عاش إيماناً عميقاً يضيئه نورٌ من العلم غير ضنين، برئ من اللفظ النابي، والمسلك الجارح والميل الحقود، تأبى على دواعي الحقد والتعصب والهوى، وفاض ساحة وجودًا وأنبعث صفاء ونورًا. ثم توأرى عن الدنيا - كالحلم اللذيذ الخاطف - على غير ميعاد.."

فإلى هذا الروح السَّمح الكريم الذي زاوج بين الإيمان والتسامح، فمثل أنبل فكرة في هذا الكتاب؛ أهدي هذا البحث إحياءً للذكرى التي لم يندمل جرحها بعد"<sup>(2)</sup>.

وهكذا أهده تلميذه الدكتور عبدالرحمن بدوي كتابه: (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي) فقال: "إلى روح أستاذي الأكبر مصطفى عبدالرازق؛ بروحك

(1) - انظر: أساتذتي، ص(186)

(2) - قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ص(3)

المتأززة بهرتني بنور الإيمان وأنا في موجة الشباب المتمرء؁ وتجدت نموذجا للإنسانية في بيئة ضاع فيها معناها؁ فأعدت إلي الثقة بالإنسان.

أواه! بالأمس كانت روعي تصرخ من عماق هاوية العصيان فلا تجد غيرك يستمع لهذا الصراخ؛ فمن لي اليوم بمن يرؤني من العصيان إلى الإيمان؁ ومن الثورة إلى الإذعان؟! وبالأمس كان من أعز أمانئ أن أهدي إليك كتبي يءا ليد؛ فهل لي أن أطمع اليوم في إهدائها إليك روحا لروح؟" (1)

وفي مقدمة كتاب: (معاني الفلسفة) يقول مؤلفه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني؁ وهو أحد تلاميذ مصطفى عبدالرازق: "إني لأستلهم في هذا المؤلف روح أستاذنا المغفور له الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مصطفى عبد الرازق؛ عنه أخذت الوضوح في الفكر؁ والدقة في التعبير؁ والسعي وراء الحق؁ وهي خلال جعلت منه الفيلسوف الحق" (2).

وعبر تلميذه محمود الخصري عن انتهائه لمدرسة مصطفى عبدالرازق؁ وانضوائه تحت رايتها؁ وإخلاصه لتطبيق منهجها؁ حين أرسل من مدريد مهديا لأستاذه أول دراسة مقارنة بين الفلسفة اليونانية وعلم الكلام؁ رسالة جاء فيها: "إلى العلامة الجليل الأستاذ السيد مصطفى عبد الرازق؛ الذي يرجع إليه الفضل في إحياء الفلسفة الإسلامية في مصر؁ وتأسيس دراستها في الجامعة المصرية؁ أقدم هذا العمل تحية تلميذ يعترف بما لأستاذه عليه من جميل" (3).

(1) - الإنسانية والوجودية في الفكر العربي؁ ص(5)

(2) - معاني الفلسفة؁ ص(4).

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق؁ ج1؁ ص(100).

وأهداه تلميذه الأستاذ الدكتور عثمان أمين كتابه: (رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده)؛ فقال: "إلى روح أستاذه الفيلسوف الكامل الشيخ مصطفى عبدالرازق؛ صاحب الفضل الأول في ظهور هذا الكتاب عن الأستاذ الإمام" (1)

وهكذا أهداه تلميذه الدكتور محمد مصطفى حلمي تحقيقه لكتاب: (توفيق التطبيق لعلي بن فضل الله الجيلاني) بهذه العبارة الدالة على درجة الحب والتأثر: "كنت من زكاة الفطرة، وجلاء البصيرة، ونقاء السيرة، وصفاء السيرة حتى لم أجد فيك إلا القدوة الحسنة في العلم والأسوة الصالحة في العمل.

وكنت من البرِّ والنصح لي والعطف عليّ حتى لم أعهد منك إلا المثل الأعلى في الأستاذية والأبوة والصدقة جميعاً.

وإذا لم تُتخ لي الأقدارُ أن أهدي إليك في عالمنا الدنيوي ما تهبأ لي من نتائج البحث العلمي التي ليست في حقيقتها إلا نفحة من نفحاتك، وثمرّة من ثمراتك، فلا أقل من أن أهدي إليك في عالمك العلوي هذه الصفحات، إجلالاً لشخصك، واعترافاً بفضلك، ووفاء بعهدك، وإحياءً لذكرك" (2)

وكثيراً ما يُطمئنُ تلامذته وزملاءه بأن صلته بهم لا تنفصم بمفارقتها الجامعة، ولا بدخوله الوزارة، فقد قال للمحتفين به من أساتذة وطلاب قسم الفلسفة بمناسبة توليه الوزارة: "لقد كدت أشعر الليلة بشيء من الألم لفرط ما ردّدتم ذكرى الألم، إنني لم أظن، ساعة، أن انتقالي من الجامعة يفصلني عنكم بأي وجه من الوجوه؛ ذلك لأن الرابطة التي تجمعنا هي رابطة العقل، رابطة القلب، رابطة

(1) - رائد الفكر المصري، ص(9).

(2) - توفيق التطبيق، ص(3).

الروح. وما كان لهذه الروابط الروحية أن تنفصم إلا حين تختلف النزعات  
الروحية، وأرجو ألا تختلف بيننا تلك النزعات على مدى الزمن" (1)

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(362)



## مصطفى عبدالرازق وزيراً للأوقاف

في أبريل من عام 1938م دُعي مصطفى عبدالرازق لتولي وزارة الأوقاف، وبقي في وزارات متعاقبة حتى عام 1945م.

وكان دخوله الوزارة حدثاً تاريخياً إذ لم يسبق لشيخ أزهرى قبله أن ولي الوزارة في مصر، وطالما كانت تغريه ظروف الحياة بأن يخلع العمامة ويتخذ اللباس الأوربي، كما فعل غيره من قبل، ولكنه أبى كل الإباء أن يخلعها ما دام في مصر<sup>(1)</sup>.

وقد كان حاله في الوزارة كما وصفه صديقه محمد كرد علي حين قال: "أخذت السياسة من وقته ما كان الأحرى صرفه في خدمة العلم، ومن عانوا السياسة مكرهين أو شبه مكرهين، وكانوا على قَدَمِهِ في التهذيب وطهارة النفس ينفعون في العادة غيرهم أكثر مما ينفعون"<sup>(2)</sup>

وفي الوزارة زاره مهتئاً الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات<sup>(3)</sup>؛ فوصف تلك الزيارة قائلاً: "لله ما كان أنبل وأجمل حين دخلتُ على الشيخ الوزير مكتبته في الوزارة من غير وقفة على حاجب الباب أو جلسة لدى مدير المكتب، لقد كان زِيَّهُ الوطني الجميل ملء العين والنفس والشعور، يوزع التحيات على عادته ببسماته الرقيقة ونظراته الودیعة وكلماته الحلوة، فيجعلك تشعر أن الوزير منك، وأن الوزارة لك، وأن الأمر بينك وبين أولياء الحكم كما يكون بين الأب وأعضاء

(1) - انظر: من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(74).

(2) - المعاصرون، ص(439).

(3) - أحمد حسن الزيات: (1885م- 1968م)؛ أحد كبار رجال النهضة الثقافية والأدبية المعاصرة، صاحب مجلة الرسالة، وعضو مجامع اللغة العربية في القاهرة، ودمشق، وبغداد.

الأسرة. كان سروري وأنا أنهى صاحب المعالي وزير الأوقاف أقرب إلى أن يكون سروراً بنفسه" (1)

وبقي في الوزارة على عهده القديم؛ كما "كان في نظر تلاميذه أحد الأساتذة القلائل الذين حفظوا معالم الحق والخير والجمال كحقائق يمكن التماسها في صورة إنسان" (2) ولم تتغير أخلاقه في الوزارة عنها في الجامعة، فقد كان "لا يعرف النفاق ولا الحيلة، كانت طبيعة العالم المترفع طابعه" (3)

وقد كان في الوزارة على حذرٍ من التأثير بمظاهر المنصب، وعلى استعداد لمغادرة الوزارة في أي وقت، فهو يقول: "كنت منذ دخلت الوزارة أحاول جهدي ألا تكون سبباً في تغيير أيِّ شأنٍ من شؤون حياتي؛ حتى لا أشعر حين أتخلى عنها بفارق بين حالتي الأولى والثانية، وأحسبني وفقتُ إلى ذلك، فلم يتغير شأن من شؤوني، ولم يعتورني شعور طارئ حين أقبل صباحاً لم أذهب في ضحاه إلى دواوين الوزراء" (4)

ويقول الكاتب محمد فريد وجدي (5): "لم أرَ فيمن قابلتُ من القادة والأعْلين أكرم خلقاً في غير استكانة، ولا أهدأ نفساً في غير وهن، ولا أكثر بشاشة في غير رخاوة، من الشيخ مصطفى عبد الرزاق؛ وكلُّ ذلك إلى حزمٍ لا يعتوره لوثٌ، واحتياطٌ لا يشوبه تنطعٌ، وأناةٌ لا يفسدُها فتورٌ وإدمانٌ على العمل ينسى معه نفسه، وهي صفاتُ كبارِ القادة، وعِليّة المصلحين" (6)

(1) - وحي الرسالة، ج 1، ص (496).

(2) - من اعلام الفكر والأدب، ص (75).

(3) - السابق، ص (75).

(4) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج 2، ص (220).

(5) - محمد فريد وجدي: (1878م-1954م)؛ كاتب إسلامي مصري، له العديد من المؤلفات؛ ذات طابع ديني ووثائقي،

ومن أهم كتبه: دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي وتقع في عشرة مجلدات.

(6) - محمد لطفي جمعة وهؤلاء، ص (368).

ولم تكن الوزارة غاية لديه، فقد كان على وعي بأنها عبء، ومسؤولية لا للوجاهة، فهو يقول للمحتفين بتوليته منصب الوزارة من الجامعيين والأزهريين: "لقد أطلتكم في الثناء عليّ مندفعين بصدق عواطفكم، وتوقد حماسكم، وإني شاكر لكم كل الشكر، وإذا كان لي شيء أقوله، فهو أنني أرجو ألا يكون أمر الوزارة غاية في الحياة، فإني أشفق عليكم أن تعدوا الوزارة غاية لطالب علم في الأزهر، أو طالب علم في الجامعة.

إننا نطلب بدراستنا في الأزهر وفي الجامعة غاية أسمى من الوزارة، وأسمى من كل منصب آخر.

فأهل الأزهر ينشدون المثل الأعلى الذي رسمه الدين، وأهل الجامعة ينشدون المثل الأعلى الذي رسمه العقل، وليس المثل الذي يرسمه الدين أو العقل هو منصب من مناصب الدولة فيه مال أو جاه، وإنما هو أن يكون الإنسان صادق الرغبة في عمل الخير، والبحث عنه، مخلصاً له، ملتتمساً إسعاد الناس، غير راغبٍ في أذى لأحد"<sup>(1)</sup>

وفي عام 1940م صدر مرسوم بتعيين عشرة أعضاء جُدد في مجمع اللغة العربية، كان من بينهم مصطفى عبدالرازق، ولا عَجَبَ فقد كان من أوائل المبشرين والمستبشرين بالمَجْمَع حينما صدر مرسوم ملكي بإنشائه عام 1917م، فكتب حينذاك في مجلة السفور؛ يقول: "أصبح لنا بحمد الله مَجْمَعٌ لغوي كما ذُكر في الجرائد يتألف من وجوه العلماء الدينيين ووجوه العلماء غير الدينيين. وللمجمع الوليد من جاه أهله جاه العلم والمناصب، ومن كنف الحكومة التي ترعاه في مهده، ما يبشر بثبات قدمه ونجاح سعيه إن شاء الله"<sup>(2)</sup>

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(360).

(2) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(352).



## مصطفى عبد الرازق إمامًا للأزهر

تألق الشيخ مصطفى عبدالرازق تألقاً عظيماً، واتسمت حياته بخبرة الشيخ وتجاربه، إلى معارفه الواسعة، وفضائله المشهورة، فجاء تكليفه بأكبر منصب علمي في جامعة الأزهر، بتعيينه شيخاً للأزهر في ديسمبر 1945م، تتويجاً لحياة مليئة بالتدين، والعطف على الآخرين، وحب الخير للمحبين وغير المحبين، وللإنسانية كلها، فختم حياته أحسن ختام، وعاش ومات في رحاب القرآن الكريم، والسنة المطهرة. إذ ولد طفلاً متديناً في أسرة متدينة. وجاء لقب (الشيخ الأكبر) ختام الألقاب والنياشين والمناصب العلمية.

وهو صاحب أول عمامة تصل إلى كرسي الوزارة، وهو أول وزير يصل إلى منصب مشيخة الأزهر<sup>(1)</sup>

ويروى أنه "عندما عُيِّنَ شيخاً للأزهر كان هذا المنصب ومن قبله منصب وزارة الأوقاف يجتزمان صاحبهما أن يكون حاصلًا على الباشوية، وبالفعل مُنحَ رتبة الباشوية. وهنا كتب رسالة للملك مفادها أنه يعتذر حين يردُّ هذا اللقب لأن لقب شيخ الأزهر الذي ناله لا يعادله أيُّ لقبٍ آخر، وبهذا كان أول مصريٍّ يعتذر عن قبول الباشوية"<sup>(2)</sup>

وقد استبشر بتوليه إمامة الأزهر المستنيرون في كل مكان، ورحبوا بهذا القرار، ليس في داخل مصر فحسب، بل حتى في خارجها؛ فقد احتفت معظم المحافل الثقافية بهذا الحدث، ومن ذلك ما جاء في صحيفة اللوموند الفرنسية التي

(1) - انظر: كيف أصبحوا عظماء، ص(166).

(2) - موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، ج3، ص(120).

كَتَبَتْ: "إن الأزهر سيعرف حياة جديدة في عهده"، ونوهت بتصريحاته الأخيرة التي قال فيها: "أنا أدينُ بالتقاليد كما أدين بالرقمي، فإذا أردنا حقيقة أن نصل إلى الأهداف التي وضعها أسلافنا نَصَبَ أعينهم، وجب علينا أن نتوسَّلَ بالوسائل المؤدية إلى هذه الأهداف، وأنا سأخدم النهضة والرقمي في دائرة التقاليد" ثم عقت الصحيفة فقالت: "إن وجود مثل هذا الرجل على رأس معهدٍ يستمدُّ منه العالم الإسلامي الروح، والوحي يُعَدُّ أعظم ضمان للتعاون الفكري، والتوفيق بين الحضارتين"<sup>(1)</sup>

ولقد كان تطوير الأزهر وإصلاحه من أجل أمانيه منذ مطلع شبابه، يدلنا على ذلك ما قاله رفيق رحلته إلى باريس الأستاذ أحمد لطفي السيد؛ إذ قال: "سألته في باريس ونحن ندبِّرُ معًا وسائل دراساته الجديدة عام 1909م: ما هو غرضه الرئيسي في الحياة؟ فأجاب على الفور: إصلاح الأزهر، وخدمة الدين الإسلامي"<sup>(2)</sup>

عاش الرجل الكريم بعد تولى هذا المنصب يعمل في خدمة الأزهر والعروبة والإسلام ويُقدِّم ما في طاقته من علم وخبرة وفهم وإدراك، وكل ما تعلمه من التراث وغير التراث للنهوض بأبناء وطنه من الفلاحين الفقراء، والموظفين البسطاء، والمواطنين الكادحين في سبيل لقمة العيش. ورَسَمَ مناهج الإصلاح الذي كان يرتجيه للأزهريين، وحاول أن يخطو بهذا المعهد العلمي العريق خطوة إلى الأمام، ويضعه في قلب النهضة العربية الحديثة عن طريق تطوير علومه، وإدخال علوم جديدة تتفق مع مقتضيات العصر. وسار في الطريق نفسه الذي عبَّده له أستاذه الإمام محمد عبده، برغم العوائق والعراقيل والمقاومة التي وقفت

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(39-40)، عن خبر نشر في جريدة الأهرام 1946/2/10م، بعنوان: (شيخ الأزهر والثقافة الفرنسية).  
(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(50).

في طريقه، ولقد ظل وفيًّا لدينه، وفيًّا لماضيته، وفيًّا لمعهدته العلمي العريق الذي لُقِّن فيه مبادئ الدين، ومقررات الشريعة، ومعاني القرآن الكريم، وتفسير قصصه، وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.<sup>(1)</sup>

وقد خاطب أبناء الأزهر وأساتذته حين وُلِّيَ إمامة الأزهر قائلاً: "يا أبناء الأزهر الشريف! حيا الله وجوهكم، فقد أكرمتكم مقدمي تكريمًا بالغ الأثر في نفسي، وأشهد ما لأحد من أبناء الأزهر عندي إلا الود صادقًا خالصًا، وسأدفعكم بكلتا يدي في سبيل الله، سبيل الكمال الديني والدنيوي حتى تعودوا بإذن الله أئمة الخير والحكمة في هذا العالم المحتاج إلى الحكمة والخير، وحتى يعود الأزهر في العالم منارة علم ودين، وخلقٍ وحبٍ، وسلامٍ وحرية."<sup>(2)</sup>

ولقد كان سمحًا مع طلاب الأزهر وتلامذته من كل الأقطار؛ يقول الشيخ علي الطنطاوي<sup>(3)</sup>: "عرفته أستاذًا جليلاً.. وشيخًا للأزهر، وقد راجعته مرات في بعض شؤون الطلبة السوريين، في الأزهر، فما رأيتُ منه إلا خُلُقًا كريماً، ونبلاً نفس، ونظافة لسان، وأخلاق عالم"<sup>(4)</sup>

كان مصطفى عبدالرازق يأمل أن يُتابع الأزهرُ السَّيرَ في سبيل تطوير معاهده: "فيقوي معهد القراءات ويكمله، وينشئ إلى جانبه دراسات عالية للحديث وعلومه، حتى يستوفي الأزهرُ جميع الوسائل التي تُعدُّه لأن يكون كعبة المسلمين في كل ما يتصل بالقرآن والحديث"<sup>(5)</sup>

(1) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(41-42).

(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(352)

(3) - علي الطنطاوي: (1909م - 1999م)؛ أديبٌ وفقه، سوري، وأحد كتاب مجلة الرسالة، عاش شطراً من حياته في المملكة العربية السعودية، له مؤلفات أدبية وعلمية كثيرة، وقد اشتهر بمساهمته الواسعة في الدعوة والتوجيه بالأحاديث في الإذاعة والتلفزيون.

(4) - ذكريات علي الطنطاوي، ج3، ص(37)

(5) - الأزهر في ألف عام، ج3، ص(320)

وأمر بتدريس اللغات الأجنبية في الأزهر الشريف، وتوسَّع في إرسال البعثات العلمية إلى فرنسا وإنجلترا. وأرسل الدَّعاة إلى قلب أفريقيا.

ولأنه كان مدرِّكًا لرسالة الأزهر، فقد مضى في إصلاحه وتطويره على سُنَّة أستاذه الإمام محمد عبده<sup>(1)</sup>.

وقد كان الأمر كما قال طه حسين: "مصطفى عبدالرازق أحسنُ خليفةً للأستاذ الإمام؛ ورث عنه علمه وطموحه إلى الخير، وأضاف إلى هذا التراث من العلم بالحضارة الحديثة شيئاً كثيراً، وأُتيح له منذ تولى أمر الأزهر ما لم يتح لأستاذه من السلطان. فكان خليقاً أن يمضي بالإصلاح الديني والعلمي والخلقي في البيئة الأزهرية إلى أبعدِ الغايات"<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ التسامح في الأزهر مداه، حتى أن الأب جورج قنواقي<sup>(3)</sup> عبَّر عن انبهاره بجو التسامح الذي ساد الأزهر في عهد مصطفى عبدالرازق؛ فكتب مقالة بعنوان: (هل من جديد في الأزهر)، نُشرت في مجلة الأزهر، عام 1946م؛ جاء فيها: "إن التسامح الديني الذي نشعر به الآن من قبل الأزهر هو بالأمر الجدير بالاحترام؛ إذ أنني دُعيت لمناقشة رسالة علمية في كلية أصول الدين، ورأيتُ مكاناً مخصَّصاً للنساء، وآخر لبعض القساوسة المستشرقين"<sup>(4)</sup>.

ولكن القَدَر لم يمهلَه ليستكمل مسيرة الإصلاح التي بدأها إذ لم يمكث على كرسي المشيخة سوى أربعة عشر شهراً.

(1) - انظر: أساتذتي، ص(187)

(2) - السابق، ص(187).

(3) - الأب جورج قنواقي: (1905م - 1993م) مفكر مصري، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والدكتوراه في اللاهوت واتجه إلى الدراسات الاستشرافية، وأصبح مديرًا لمعهد الدراسات الاستشرافية بدير الآباء الدومينيكان بالقاهرة.

(4) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج 1، ص(42)، نقلاً عن مقالة للأب جورج قنواقي بعنوان: (هل من جديد في الأزهر؟)، نُشرت في مجلة الأزهر، عام 1946م.

وخلالها خرج أميرًا للحج في 28 أكتوبر 1946م، ولبث في رحلته تلك حتى أوائل ديسمبر 1946م.

ومن كلمته التي ألقاها أمام الملك سعود بن عبدالعزيز في المحفل السنوي لوفود الحجيج؛ قوله: " كان الطريق إلى الحج قبل الآن غير ممهد، وكان الأمن في الحجاز معدومًا، حين درجت الدول الإسلامية على إرسال كتائب من الجند مزودةً بالسلاح تصحبُ ركبَ الحجاج، وتشق لهم الطريق إلى بيت الله، وكان يتولى زعامة هذه الكتائب قائد عسكري هو أمير الحج.

ولكن عهد الملك عبد العزيز آل سعود مهد السبيل، وأقر الأمن في البوادي بما لا نظير له في أعظم المدائن حضارة ورقياً، فأصبح الحاج آمنًا مطمئنًا، إلى الأماكن المقدسة، غير محتاج إلى حماية ولا سلاح، إلا سلاح الإيمان بالله، رب هذا البيت، الذي جعله وقاية للناس وأمنًا، وهذه إحدى مآثر الملك العربي الكريم، وإحدى أياديه الجسام، ولم يعد أمير الحج قائد جند يسير إلى الهيحاء، بل سفير أخوة وسلام ودعوة إلى الله في ظلال الكعبة، التي يوجه المسلمون وجوههم شطرها" (1)

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(348).



## شيء من قيمه وسجاياه النبيلة

ربما يكون للنشأة في وسط بيئة زراعية متدينة أثرٌ في استشعاره آلام المزارعين، وفقر الفلاحين، وحال المرأة الريفية المتردية، والشعور بالعديد من المشكلات الاجتماعية التي تكتنف الأسرة، فجعلت منه مصلحاً اجتماعياً يطالب بتعليم الفلاح، وتحرير المرأة مما تعانيه من الظلم.

ولعل هذه النشأة الريفية هي التي قدحت في نفسه شعلة الشعر، لنقرأه في شعره - القليل - شاعراً حساساً، ذا عاطفة جيّاشة تستثيره مناظر الريف، وزرع الحقول، وضوء القمر، ووجه النيل. وجعلت منه ناثرًا مرموقاً له قدرة بلاغية فائقة، وتعبيرٌ أخذٌ، وخيالٌ خصب، يميل إلى الواقعية. والقارئ لبعض آثاره الأدبية سوف يتجلى له منها بنظرة عجلى كثيرٌ من دلائل العبقرية السامية<sup>(1)</sup>.

وهو يعتز بهذه النشأة الريفية فيقول: "إننا نحن الفلاحين أبناء الفلاحين نبينا في المزارع وحول جداول المياه نستنشق الهواء طليقاً لا يجبهه شيء، ونستقبل الشمس سافرة ليس من دونها حجاب، ونرى حيث سرنا أهلاً وعشيرة؛ إذا مرض أحدهم عُدناه، وإذا مات شيعناه، وإذا مسّه ضرٌّ مسّنا، وإذا غضب نهضنا معه غضاباً لا نسأله على ما قال برهانا.

نحن أسرة واحدة وإن فرقنا المناصب، وأخوة متعاطفون وإن مَيَّز بيننا الفقر والغنى، يحترم صغيرنا كبيرنا ويعطف كبيرنا على صغيرنا"<sup>(2)</sup>

(1) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(62).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص.ص(214-215).

وتلك نظرة إنسانية خالصة؛ فالقرية أشبه بأسرة واحدة، توحد مشاعرهم، وتربط بين قلوبهم وشائج المحبة، وأواصر التعاطف، فتتوحد مقاصدهم وأهدافهم وآمالهم، على الرغم من التباين الظاهر في مستوى المعيشة أو الفارق في السلم الاجتماعي<sup>(1)</sup>

وهو مُحبُّ لهذه القرية التي نشأ فيها، تذكُّره براءة الطفولة، ونقاء الصبا؛ فهي "قريةٌ ذاهبةٌ في أعماق المزارع، بعيدة عن كل نفحة من نفحات الزخرف المدني، تلك هي الأرض التي أجدُ كلما استنشقتُ نسيمها ريحَ طفولتي"<sup>(2)</sup>

وقد استمر تقديره لهذه النشأة طوال حياته، فيخاطبها بقوله: "أيتها الأرض المباركة حيًّا اللهُ رحابك الخِصبة فقد كانت أطيَّبَ مهد لعهد الطفولة عليه السلام. وإن أكبر آمالنا لهُو أن نعيش فيك إلى جانب قومنا الفلاحين سعداء بحريتنا سعداء بأخلاقنا وعصبيتنا"<sup>(3)</sup>

وتأثره بنشأته الريفية واضحة الأثر عليه، وهذا ما يؤكده غير واحدٍ من دارسيه، فيقول الأستاذ أنور الجندي: "والحق أن مصطفى عبدالرازق أخذ من الريف ذلك الوفاء النبيل، وتلك الطبيعة الثابتة العميقة الخِصبة، التي لا تتحول عن شيء ألفتها؛ سواء كان صاحبها في القاهرة أو في باريس، في الوزارة أو في الأزهر أو في الجامعة"<sup>(4)</sup>

وقد طبعته هذه النشأة الريفية بطابعها، وأسبغت عليه نشأته في بيت علمٍ ودين نزعةً دينية منذ صغره، وظل متمسكًا بها طوال حياته، ولقد قال شقيقه علي

(1) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(51).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(187).

(3) - السابق، ص(215).

(4) - مجلة العربي، العدد(149)، أبريل 1971م، ص(134).

عبدالرازق عن تلك النزعة في أولى مراحلها: "كان منزعه الديني أيامئذ كمنزعه؛ لا هو بالجامد المتحجر، ولا هو باللين المتخلخل بل كان بين ذلك قوامًا"<sup>(1)</sup>

ثم قويت تلك النزعة حتى تفتقت عن منهجه الديني الصحيح؛ الذي يقوم على الفهم الصحيح للدين؛ على طريقة السلف قبل ظهور الخلافات، أي العودة بالدين إلى منابعه الأولى، وكذلك عدَّ الدِّينَ صديقًا للعلم ولا تعارض بينهما، وآمن بمكانة العقل وأنه لا تعارض بينه وبين الدين، ودعى الى تحرير الفكر من التقليد<sup>(2)</sup>

تبدو نزعة التدين بالمعنى الأشمل لهذه الصفة جليةً في شخصية مصطفى عبد الرازق، في التمسك بمبادئ الإسلام، وحُسن المعاملة، والرفق بالفقراء، والعطف على الضعفاء، والأخذ بيد المحتاجين، والإحساس بحاجاتهم وإعطائهم قبل أن يذلوا أنفسهم بالسؤال، وإتقان العمل، والإخلاص في تنفيذ الأمور العامة، والحرص على إيفاء الناس حقوقهم، والسهر على مصالحهم وفكِّ كُرْبِهِم، والمحافظة على النفس وصيانة كرامتها، والدفاع عن الإسلام ضد الهجمات والشبهات والادعاءات.

والمحافظة على أموال الأفراد، وأموال الدولة، من الضياع، والمحافظة على العقل من أن تُدْنِسَهُ شائبة من الخرافات، والمحافظة على الأعراض، ومراعاة حُرْمَتِهَا. وتلك هي الصورة الأشمل للدين كما تمثَّله مصطفى عبد الرازق في علمه وفي سلوكه.

---

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(21).  
(2) - انظر: المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق، ص (27).

وعنايته بالفضائل والقيم الإنسانية النبيلة ظاهرٌ منذ نشأته، يدلنا عليها إنشاؤه جمعية غرس الفضائل التي ضمت لِداته من أبناء العائلة، وإصداره مجلة تنشر أهدافها؛ وما يزال إذ ذاك في بواكير الصبا.

كما أنه لا تكاد تمر مناسبة دينية دون أن يكتب عنها؛ فكتب عن شهر رمضان، وموسم الحج، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والعام الهجري، وعيد الأضحى المبارك. وهو فيما يكتب يحاول أن يُقرب الحكمة الخافية وراء كل فرض من فروض الدين، وأهمية التمسك بالشعائر، ودلالات الاحتفال بالأعياد الدينية، وماذا يعود على المسلمين من ذلك، وما يجب أن تكون عليه الأعياد<sup>(1)</sup>.

وفي النظر إلى هذا الموقف العابر تتجلى يقظة ضميره، فقد روى في مذكراته فقال: "غدونا إلى مرسيليا صباحًا، وكان مع كثير منّا سجاير مصرية يريدون أن يَمروا بها من غير أن يؤدوا إتاوتها، وتلك عقبة لا يذللها إلا ما في عمال الجمرك الفرنسي من ظرافة تكلفك قروشًا معدودة. ولما خرجت من الجمرك بما معي من السجائر شعرت بوخز في مكان الفضيلة من نفسي. فإن هذه هَنَاتٌ مهما تَمَحَّلْنَا لها أَعْدَارًا لا تخلو من عَمَزٍ في قناة الخُلُق" <sup>(2)</sup>

ومثل هذا الموقف العابر يعبر عن عمق التدين، ويقظة الضمير، فهو يرى أنه خالف القانون، واحترام القانون له صلة قوية بالموقف الأخلاقي، والأخلاق مستمدة من الدين، فالدين هو الذي يزرع محكمة الضمير داخل أعماق الإنسان<sup>(3)</sup>، ثم إنه لم يجد غضاضة في أن يحكي هذه المخالفة ويلوم نفسه على اقترافها.

(1) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص.ص (44-46).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(418).

(3) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(47).

وقد تنبه تلاميذ مصطفى عبدالرازق وأتباع مدرسته إلى تعدُّد نواحي العظمة في شخصيته، فهو عالمٌ دين، ورجل فكرٍ، وأديب، ومصلح اجتماعي، ورسول من رسل الوعي الإنساني؛ الذين لم تعدم البشرية وجودهم عبر التاريخ، والذين يهدون البشرية بسلوكهم وفكرهم إلى الطريق المستقيم<sup>(1)</sup>.

يقول تلميذه الدكتور أبو الوفا التفتازاني شارحًا أبعاد النزعة الدينية عند مصطفى عبدالرازق: " كان للأستاذ من الإيمان والتقوى وحب الخير وصفاء النفس ما يجعل منه صوفيًا عارفًا بالله"<sup>(2)</sup>

ويشير الدكتور محمد الزيني إلى ارتباط الشعور الديني لديه بالأسلوب الأدبي، فيقول: "وكما تجلَّت هذه النزعة كخاصية من خصائص أخلاقه، فهي تتجلى أيضا في أسلوبه الأدبي وهو يُرَصِّعُ بحسن الاقتباس من آيات القرآن الكريم، ويضعه في السياق، فيزين أسلوبه وينسجم معه انسجامًا بعيدًا، وتغمر سلوكه، وتأخذ عليه مناحي حياته فهي تسري فيه مسرى الدم في الشرايين. لقد اصطبغ أسلوب الشيخ مصطفى بهذا الحس الديني الواضح"<sup>(3)</sup>

والاسلام في رأيه يناصر الحرية ويدعم العدالة ويوطد المحبة بين البشر، ويُعدُّ الفرد لكي يكون مواطنًا صالحًا، مشاركًا في خدمة الآخرين ومساهمًا في تكوين المجتمع الصالح.

وخلَّةٌ أخرى ربما تكون امتدادًا لطبيعته الريفية المتدينة، وهي طابع الحزن العام الذي يشملها، ويلفه دائمًا في كل زمان ومكان. فهو ابن باشا، وشقيق الباشوات، أي أنه لم يكن يعاني أي معاناة من تكاليف الحياة، ولكن هذه السمة تبين طبيعة النفس الرقيقة الحساسة، المهمومة دائمًا من الغيب المجهول، والمحزونة

(1) - انظر: الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، عدد تذكاري، ص(175).

(2) - السابق، ص(65).

(3) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(96).

من أجل القضايا العامة، ومن أجل مشكلات المجتمع، إنه حُزُنٌ عام يُغَلِّفُ شخصيته.

وهو يفتش عن سبب هذا الحزن الدفين الذي يسكن أعماقه، ويرى أن هذه الآلام هي قُوَّتُه اليومي، لأنها إحساسات تعانق خفايا أعماقه، ويعدها نفحة من نفحات الكمال الروحي، فيقول في إحدى خاطراته: "في نفسي حزن غامض يتصل بموطن الحنان؛ حتى لكأني أشتاق إلى غائب غير مرجو لقاؤه. لم أشعر بنوبة ذلك الهم إلا بالليل، ويوشك أن تكون هدأت الليالي أنسبَ شيء بما تبعته نزوات الألم إلى قلوب المحزونين.

ليست قليلة في حياتي تلك الساعات التي تهتف فيها بالحزن كل عصبه من مجموعي الحساس.

يا ليالي هل كُتِبَ عليّ أن أبيتك جميعًا هكذا مفعم القلب بالكدر؟ أليس في ثناياك مطعمٌ لنصيب من السعادة أو حظٌ من سكينه الروح؟<sup>(1)</sup>

ويقول: "عجيب موقع السرور في نفسي الحزينة! هو يأخذ صبغة من أصباغ العواطف الرزينة الجدية. حتى لهو الحياة ينقلب في فؤادي حركة عنيفة جاهدة، ومن أجل ذلك تتعبني لذات العيش كما تتعبني آلامه"<sup>(2)</sup>

وها هي نغمةٌ تائهة في الهواء تصيبُ موطن الحزن من نفسه؛ فتثيرُ أحزانه، ويحدثنا عن أثرها فيقول: "سمعت أصيل اليوم نغمة موسيقية من (بيانو) هبطت إليّ من دار في طريق كنت أسلكه فشعرت كأن حزنًا مملوءًا بالعطف والرحمة

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(200).

(2) - السابق، ص(226).

تتصعب به النفس من كل ناحية ووجدت لذة داخله في أعماق النفس لهذا الحزن الطروب" (1)

لقد استوطن الحزن ذاته الحساسة، حتى بات يراه مما يصقل النفس، ويعلو بالإحساس، فيتصالح مع هذا الشعور الممض، ويكشف عن موقعه من نفسه وأثره في فكره وشعوره فيقول: "أرى في الحزن معنىً من معاني الإحساس اللطيف الذاهب في أعماق النفس حيث لا يبلغ السرور، أرى الحزن كما لا لأنه يصرف النفس عن المظاهر الملهية الطائشة إلى العواطف الرزينة المحكمة.

الحزن شغل الروح فالذين لا يعرفون الحزن أرواحهم هواء، والحزن خيرٌ كُلُّه لأنه توأم الحب ومصدر الرحمة والإحسان" (2).

ثم يخاطب الحزن بهذا الخطاب الحميم الواعي: "يا حزن؛ كأني أحببتك لكثرة ما عرفتك" (3)

ومن سماته الشخصية الظاهرة الحياء؛ وهو يدرك هذه الخصيصة النبيلة، ويتحدث عنها، إما موضحاً أو شاكياً، فيقول عن نفسه حينها ذهب لمقابلة الإمام محمد عبده بعد أن ترك الأزهر: "فلما لمحني قام إليّ وأحسن تحيتي، وأدناني منه حتى زدتُ حياءً على ما بي من تَهَيُّبٍ طبيعي" (4)

ويقول عن نفسه: "أنا حييٌّ مسرفٌ في الخجل أتصَبَّبُ عرقاً إذا مررتُ بمحفلٍ فأخذتني الأبصار" (5)

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق ، ص(227).

(2) - السابق، ص(340).

(3) - السابق، ص(341).

(4) - السابق ص(94).

(5) - السابق، ص(176).

ويؤكد على صفة الحياء التي غلبت على شخصيته، فيقول: "أنا حيٌّ مفرطٌ في الحياء وخجول. ولهاتين الخلتين دخلٌ كبيرٌ في إظهارِ مزاجي الحاد في مظهر ساكن" (1)

ويقول واصفاً حاله حينها سافر إلى أوروبا أول مرة: "لم أسكن في غير دارنا، ولا عشتُ إلا بين أهلي، ولا نطقتُ إلا لغتهم، وكنت من السداجة ورقة القلب وفرط الحياء على ما كان عليه ناشئة الأزهر في ذلك الزمن" (2)

فقد "كان لمصطفى عبدالرازق طبعه الحيي، وكان مثلاً للأناقة والرقّة والهدوء، كأنها الحياة عنده أغنية جميلة أو موسيقى هادئة" (3) كما يقول الأستاذ أنور الجندي (4).

ويقول: د. حسن محمود، وهو من أبناء بلدته (أبو جرح): "كنا نرى الشيخ الجليل في رفته وحيائه يسيرٌ عصرٌ كلُّ يوم في الطريق الزراعي الطويل المنبسط أمام القرية" (5)

ويقول شقيقه علي عبدالرازق: "كان أخي مصطفى فوق ذلك مطبوعاً منذ الطفولة على فطرة رفيقة. فهو لا يُحبُّ الأذى ولا العنف. وكان خلقه الحياء؛ والرفق والحياء إذا استمكننا من نفسٍ كما استمكننا من نفسه تولدَ عنهما من الفضائل ومكارم الأخلاق ما يرفع إلى أسمى الدرجات" (6)

ويتحدث مصطفى عبدالرازق عن صبره على مشقات الدراسة الأزهرية، وعدم الشكوى من أثر طبيعة الحياء التي جُبلَ عليها، فيقول: "كنت يومئذ شاباً

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق ، ص(328).

(2) - السابق ، ص(387).

(3) - من اعلام الفكر والأدب، ص(71).

(4) - أنور الجندي: (1917م - 2002م)، أديب ومفكر إسلامي مصري، صاحب إنتاج علمي غزير؛ في الفكر والأدب والسياسة.

(5) - هذا الرجل من مصر، ص(587).

(6) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(20).

تتفتق عنه غلائل الطفولة، ولم تكن بنيتي قوية، ولا أعصابي متينة فضعفت من أثر الجهد المضني في دراسة غير منظمة، وعرانى سأم من الدراسة في الأزهر، واشتد ذلك السأم حتى صار ألماً ملازماً، وكانت طبيعة الحياء تعوقني في ذلك الوقت عن أن أبث ما بي إلى أحد<sup>(1)</sup>"

تلك طبيعة مصطفى عبدالرازق في صباه، أيام دراسته الأزهرية، وعلى إثر هذه الطبيعة يتساءل الأستاذ أنور الجندي: "هل أذهبت أوربا والعلم وارتفاع السن هذا الحياء؟"<sup>(2)</sup>

ثم يجيبُ - في غير تردد - بالنفي فيقول: "كلا فقد بقي مصطفى عبدالرازق رمزاً لهذه المعاني العالية النبيلة من الخلق"<sup>(3)</sup>

ومع هذا الطبع الحبي الأصيل الذي امتلأت به نفس مصطفى عبدالرازق فإنه لا يتردد في أن ينبّه إلى الاعتدال في التحلي به، والتنشئة عليه، لسبب لا يتنبه له إلا ذو فطنة، ورؤية متعمّقة في طبائع النفس البشرية؛ فيقول: "الحياء فضيلة من فروع الفضائل لا من أصولها؛ ويا ليتنا نُعنى بالشجاعة، والصدق، والعفة بعض ما نُعنى بتلك الخَلَّة التي ينبغي أن تؤخذ برفق لاتصالها بالجن أبشع الرذائل المهلكة"<sup>(4)</sup>

ثم يُفرِّق بين مستويين من الحياء؛ فيقول: "محمود ما يحفظ الحشمة من درجات الحياء، أما ما يجاوز ذلك فداءً نعيذ بالله منه قومنا وأنفسنا؛ أيها المربون لا

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(268).

(2) - من أعلام الفكر والأدب، ص(74).

(3) - السابق، ص(74).

(4) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(266).

تُضعِفُوا من قوة الشباب الناهض بعوامل التَّهْيِيبِ والخجل، علموا أولادنا كثيرًا من الشجاعة وقليلًا من الحياء" (1)

ولا عجب أن تُثمر حياة من نشأ في الريف، ونشأ في نقاء التدين، وحب العلم، واكتست نفسه بطابع الحياء النقي، واتشحت روحه بحزنٍ كظيم، لا عجب أن تتشكل من مجموع هذه الخلال نفسٌ حساسة، شفافة، ذات نزعة إنسانية ظاهرة؛ في صور من سعة الأفق، ورحابة التفكير، يطل من أبوابها المفتحة ونوافذها المشرعة على كل فكر جديد، بعقلٍ بعيد عن التعصب أو الغرور، يرفض عادات الماضي وتقاليده إن هي أدت إلى الثبات والجمود، وتعارضت مع مقررات الدين، وقلبٌ يُحِبُّ الآخرين على اختلاف ألوانهم ودياناتهم ومذاهبهم وأقدارهم ومعائشهم.

فهو مطبوع على صفاء النفس، وشفافية الروح، واحترام كرامة الإنسان والعطف عليه أيًّا كان جنسه ولونه، والتعاطف معه والحزن من أجله والفرح لمسراته، ومناصرة قضيته، خارجًا من دائرة الذات الضيقة إلى دائرة الآخر الرحبة، ممتدَّ البصر إلى آفاقٍ تشملُ الموجودات كلها؛ الحيوان والإنسان والطبيعة. (2)

يقول رفيقه في سفره وإقامته الأستاذ أحمد لطفي السيد: "أعرف الأستاذ منذ شبابه الغض هادئ الطبع، رضي الصحبة، يحكم عقله علمه، ويحكم علمه لسانه وقلمه، وكان في زمن التحصيل مثلاً للطلاب الجاد النابه، وفي زمن التدريس متحرِّجًا (3) في القيام بالواجب خير قيام" (4).

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(267)

(2) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(50)

(3) - حريصًا على القيام به، حذرًا من التقصير.

(4) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(50)

ولقد كان صاحبَ فكرٍ زاخر بالمعاني الإنسانية، داعٍ إلى تركية الوعي وتركية الضمير، وتوضيح سبل الخير وهداية السلوك وارشاده؛ والإعلاء من شأن القيم الروحية والمثل العليا، ومطالبة الإنسان أن ينشد تلك القيم والمثل ويحيا من أجلها، وألا تكون حياته مجرد تعبير عن ذاته، بل إنكار لذاته وفي سبيل الغير، وأن يحس بالواجب نحو الآخرين، وأن يحسن إليهم ويضحى من أجلهم، فهو ليس مجرد موجود وسط مجتمع، فسعادة الفرد ليست بمنأى عن سعادة المجتمع، بل تتحقق من خلاله ووسطه<sup>(1)</sup>

وتلك فلسفته في الحياة كما ينقلها عنه تلميذه الدكتور عثمان أمين فيقول: "وكان أستاذنا رحمه الله يقول: إننا جزء من كل، وأن واجب الجزء أن يعمل من أجل الكل، والكل الذي ننتمي إليه هو الإنسانية"<sup>(2)</sup>

والتواضع لديه صنو العلم فهو يُزكي هذه الخصلة النبيلة في طلابه فيقول: "كلما ازداد علم العالم ازداد تواضعه، وكلما ازداد تواضعه ازداد علمًا"<sup>(3)</sup>

وللحبِّ تجلياته في حياة مصطفى عبدالرازق، فقد كان الحبُّ دافعًا رئيسًا لسلوكه، ومسوغًا لآرائه: "حبُّه للإحسان، حبه للتضحية، حبه لكل مقومات السلوك الإنساني الرفيع، لقد كان فكره وعمله يحركها الحب في كل اتجاه"<sup>(4)</sup>

ويفسرُ تشوُّف نفسه لنبيل الخلال، وجميل الخصال، عنايته بالشاعر البهاء زهير، فهو يصف البهاء زهير بأنه: "مثالٌ من مثُل الخلق العظيم: يجمع الى حب

(1) - انظر: المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرزاق، ص(149).

(2) - مجلة العربي، العدد(74)، يناير 1965م، ص(73).

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(352).

(4) - المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرزاق، ص(27).

الخير وفضيلة العفو، قوة الشخصية، وشرف النفس، وعزة الإباء. وتلك صفاتٌ لا تجتمع إلا لأهل الفِطْرِ الفاتقة" (1)

لقد أوضح الشيخ مصطفى بفكره وسلوكه صورة مثلى للإنسان؛ صورة تحقق للإنسان إنسانيته، وترسم له سلوكه، وتمده بطاقة روحية هائلة، وتهديه بعقيدة ثابتة، وتؤكد كرامته وحريته، وتؤهله للعمل الجاد المثمر، بسماحة نفس وسعة أفق؛ فقد جمع مصطفى عبدالرازق بين سمات الرجل الفاضل في أخلاقه وسلوكه وسمات المفكر في منهجه وعلمه، فشكّل ذلك قوةً ودقة في علمه ومنهجه، بحيث قدم لنا صورة مثلى؛ لما ينبغي أن يكون الإنسان عليه؛ علمًا وخلقًا، وفكرًا، وعملاً، وعاشَ فكره، وتطابق عنده الفكر والعمل، ومن ذلك الانسجام جاءت أفكاره الإصلاحية، التي تنم عن نظرة إنسانية عميقة.

فهو "يرى أن الأخلاق ينبغي أن تكون فناً للحياة، أي أن ترسم قاعدةً ثابتةً لسلوك الشخص مع نفسه، وبإزاء الله والناس" (2). وهو يدرك طبيعته المتعالية عن سفساف الأمور، فهو يقول: "لو أن الناس ينظرون إلى الحوادث بالعين التي أنظرُ بها ما تعادوا. فإني أراها صغيرةً تلك المماحكات التي هي شغلُ الناس ومثارُ جدلهم وخلافاتهم؛ ربما كانت الصغائرُ هي الحياة وربما كنتُ بعزوفى عنها لا أنالُ حظي من الحياة كاملاً، ولكن فطرتي هكذا؛ وما أظننى أستطيعُ لها تبديلاً" (3)

وقد لمس الذين تعاملوا معه أو كانوا أولي علاقة به تلك السمات الشخصية السامية، وتحدثوا وكتبوا عمّا يتمتع به من كريم الأخلاق، ورقة المعاملة، وسخاء اليد، وحب الخير للبشرية، والكمال الروحي، الذي كان يملأ جوانحه. ورحابة أفقه، وتفكيره الحر، وعدم حرج صدره لأي من الآراء، وأنه ملكٌ من نبالة

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج3، ص(397).

(2) - د. عثمان أمين، مجلة العربي، العدد(74)، يناير1965م، ص(72).

(3) - أساتذتي، ص(155)، نقلًا عن جريدة الأخبار: 2000/2/25م (مذكراته).

المسلك، ورقة الشعور، وحساسية النفس ما يرشحه لأن يكون أحد قادة الفكر في عالمنا المعاصر، ومن رواد الوعي الإنساني<sup>(1)</sup>

ويقول عنه الأستاذ: سعيد زايد<sup>(2)</sup>: "كم أخذ بيد طلاب العلم ومريديه، وكم فتح أبواب الرزق أمام أهله، وكم عبّد طرق البحث أمام الباحثين. ولقد شاءت الظروف أن أقابله مرة يوم أن عُيِّنَ شيخًا للأزهر الشريف، فذهبت لأهنته مع أحد الأصدقاء بل لأهنتى المنصب به، فرأيت صورة مجسدة للنبل والتواضع ورقة الحديث، نبل الأصيل، وتواضع العالم ورقة العطف الحاني على أبنائه"<sup>(3)</sup>.

ومما يصعبُ تصوره أن يتجاوز حُبُّ مصطفى عبدالرازق المحسنين إلى المسيئين، فيلتمس لهم العذر، ويمنحهم الحُبَّ والنصح؛ ولتأمل هذا الوصف الفائق بقلم رفيقه الأديب أحمد أمين: "كان من طيب نفسه لا يحقد على مجرم أو مسيء أو مذنب، على حين يتهلل للمحسن والخير والنبل، فكان خلاصة فلسفته في ذلك: الجبر في الإساءة، والاختيار في الإحسان. فهو لا يكره خصومه، ولا يبغض من أساء، ولكنه يحب من أحسن ويجب كل الحب أصدقاءه"<sup>(4)</sup>

وليس شعرًا ما قاله الشاعر كامل الشناوي<sup>(5)</sup> من صفات الجمال والجلال، بل عجبًا وإعجابًا بشخصية مصطفى عبدالرازق: "كان يؤمن بالله ويؤمن بالإنسان وكان من علماء الدين وكان من علماء الدنيا.. كان مفتوح العينين والأذنين والقلب والدماغ.. فرأى الجمال، وسمع الموسيقى، ووعى الحكمة، وفكر في العلم، والفلسفة، والفن.

---

(1) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(59).  
(2) - سعيد زايد: صاحب إسهامات في مجال التأليف الفلسفي، وتحقيق التراث، ولا سيما الاشتراك في تحقيق كتاب: (المغني) للقاضي عبدالجبار.  
(3) - الشيخ الأكبر، مصطفى عبدالرازق، مفكرًا وأديبًا ومصلحًا، (كتاب تذكاري)، ص(217).  
(4) - كيف أصبحوا عظماء، ص(171).  
(5) - كامل الشناوي: (1908م - 1965م)؛ شاعر وصحفي مصري، رأس عددًا من الصحف والمجلات المهمة منها: آخر ساعة، الأخبار، الجمهورية.

كان قصير القامة، مهيب الطلعة، أنيقاً في حركته وسكونه ووقفته وجلسته:  
أنيقاً في اختيار كلمته، وابتسامته، وملايسه.

صوت رقيق خاشع، وجه فيه طمأنينة وسماحة، عينان تشعان ذكاءً وحباً؛  
القسمات حلوة، والشهائل أحلى" (1)

أما صديقه محمد كرد علي فهو يئنه إلى إحدى خصالة الفريفة؛ إذ يتساوى  
علمه وأخلاقه، ويأسف على ما أنفق من سنواته في المناصب فيقول: "نظرت ملياً  
في سيرة صديقي فرأيت علمه عدل أخلاقه. وهذا من النوادر في هذا العصر. ولو  
انصرف إلى درسه في الجامعة، وصرف أيامه في التأليف والتأديب على ما خص به  
من ثقب ذهنٍ وجلدٍ في البحث لزاد الانتفاع بها أنتج أضعافاً" (2)

ويرى الدكتور محمد رجب البيومي (3) أهمية دراسة آثار مصطفى  
عبدالرازق، دراسة متأنية، معللاً ذلك بأنها "دائماً تعمد إلى اللباب الخالص من  
قضايا العلم والفلسفة، أو تجمع شتى الأنظار المتقابلة شرقاً وغرباً لتمييز الخبيث  
من الطيب في هدوء أمين، يُدهشك أن ترى فيه روحاً من التسامح تكاد تحتضن  
الرأي المخالف احتضاناً، مع أنه زيفه وكشف عن عواره، لأن حُلُق الفيلسوف  
عند مصطفى قد أجبره على أن يقدر اجتهاد مخالفه، وأن يأخذ في اعتباره ما أضع  
من وقت، وما بذل من جهد في النقد والتمحيص مهما وصلت به النتائج إلى غير  
مطمئنها الصحيح" (4)

وطالما دعا مصطفى عبدالرازق إلى التسامح، ونَبّه إلى ما اعتور بحوث بعض  
المستشرقين من تعصب أو خطل؛ فهو يقول: "وإن كنا قد ألمعنا إلى نزوات من

(1) - لقاء معهم، ص.ص(124-125).

(2) - المعاصرون، ص(439).

(3) - محمد رجب البيومي: (1923هـ - 2011م)؛ أديب وكاتب وشاعر، وأكاديمي، تولى عمادة كلية اللغة العربية  
بالمندورة، وهو صاحب إنتاج غزير اتسم بالأصالة.

(4) - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج 2، ص(64).

الضعف الانساني تشوب أحياناً جهودهم في خدمة العلم، فإننا نرجو أن يكون في تيقظ عواطف الخير في البشر وانساقها إلى دعوة السلم العام والنزاهة الخالصة والإنصاف والتسامح مدعاة للتعاون بين الناس جميعاً على خدمة العلم باعتباره نوراً لا ينبغي أن يخالط صفاءه كدر" (1)

ويُعيد الدكتور محمد حسين هيكل (2) هذه السماحة والرفق إلى طيبة قلبه، ووداعة الخلق؛ فيقول: "لقد كان مصطفى المفكر الفيلسوف والأديب الكاتب، لا يعرف العنف ولا يميل إلى البطش بل كان يؤمن بالحرية لأنه حرُّ الفكر، والتسامح لأنه طيب القلب وديع الخلق" (3)

وكتب الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد يصف الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه (صور ضاحكة)، فقال: "ما رأيت في حياتي وجهاً أصبح من وجهه ولا أنضر، يتسم فيتلاً لمحياه ببشر صاف كاللؤلؤ، ويمشي فترى في مشيته الوقار الأنيق، أجل كان أنيقاً في كل شيء؛ في خُلُقِهِ، وفي نبهه، وفي أريحيته، وفي عراقة أصله، وفي عمله، وفي أسلوبه، بل في ضحكته! تعرفه فيبهرك منه أنسٌ فيضٌ وودٌ يُشعُّ، وعطفٌ حانٍ يغمرك به فلا تملك إلا الإعجاب بهذه السجايا الجليلة" (4)

وطبيعة التسامح أصيلةٌ في نفسه؛ وكأنها يتحدثُ عن نفسه حينما وصف أستاذه محمد عبده فقال: "كان الأستاذ يرى أن الشر لا فائدة منه مطلقاً، وأن التسامح والعمو عن كل شيء ومن كل شخص هما أحسن ما يُعالجُ به السوء، ويفيدُ في إصلاح فاعله" (5)

(1) - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص(41).

(2) - محمد حسين هيكل: (1888م - 1956م)؛ كاتب صحفي، ومؤرخ، وسياسي، ومؤلف، وروائي مصري، حاز الدكتوراه من السوربون في الحقوق عام1912م، وأصبح عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عام1940م.

(3) - الرسالة، عدد (718)، 7 أبريل 1947م.

(4) - صور ضاحكة، ص. ص(105-106)

(5) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(176)

يتحدّث الروائي نجيب محفوظ وهو أحد تلاميذ مصطفى عبدالرازق منبهاً إلى تمتعه بعديد الميزات التي يجب أن يتحلّى بها رجل الدين ورجل الدنيا؛ فيقول: "من يراه من المشايخ يحسبه ليس منهم ومن يراه من طالبى الدنيا يحسبه من رجال الدين، فهو الشيخ وهو الأستاذ وهو المفكر، وهو الفيلسوف، وهو الشاعر وهو الناقد، وهو البار، وهو الرحيم، وهو المتذوق لألوان الفن والجمال، وهو المحافظ وهو المتحرر.. إنه تركيبة نادرة من الرجال، وأحسب أن أخص صفاته الحلم والأدب وحلاوة اللسان"<sup>(1)</sup>.

ويقول الدكتور محمد الجوادى: " لا أكاد أجد في تاريخنا الحديث والمعاصر كله إجماعاً على نبل شخصية من الشخصيات وعظمتها قدر ما أجده من إجماع في حق هذا الرجل الجليل، يختلف الناس على المصلحين وعلى الزعماء وعلى القادة وعلى الأفاضل والأبطال، لكنهم يجتمعون على مصطفى عبدالرازق كما لم يجتمعوا على فضل أحد غيره"<sup>(2)</sup>

وهو من المنادين دائماً بضرورة الجمع بين الأصالة والتراثية، والتجديد والمعاصرة، فلا عجب أن يحتفي بإنشاء (دار العلوم) لتكون مدرسة علمية تجمع بين أصالة الماضي وتقدّم الحاضر؛ داعياً إلى " إيجاد مدارس تجمع بين ما في الطرق الأزهرية من دقة البحث وتقوية الملكات العلمية، وما في المدارس الحديثة من تنوع المعلومات ومراعاة الانتفاع بها في الحياة، وقد أنشئت مدرسة دار العلوم لتحقيق هذه الأمنية"<sup>(3)</sup>

(1) - أساتذتي، ص(184)

(2) - كيف أصبحوا عظماء، ص(165)

(3) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص.ص(270-271).

ويتحدث عن (الرابطة الشرقية) وهو أحد أعضائها المؤثرين، فيقول: "إننا نعرف أن نهضتنا الحديثة مقتبسة من المدنية الغربية، ونعرف أن لا غنى لنا في الكمال المدني الذي ننشده، عن الاستفادة من الأمم التي سبقتنا في ميدان الرقي .

نعرف كل ذلك، ونعرف مع ذلك أن الشرق والغرب هما شطرا الإنسانية، فمن سعى بينهما بالفرقة كان عاقباً، جانياً على الإنسانية، وكان ممن يسعون في الأرض فساداً، وإنما نحن مصلحون نمهد للمودة والقربى بين شعوب البشر كلها"<sup>(1)</sup>.

وقد طبق هذا المنهج في حياته العملية وفي الجامعة، من خلال إحياء التراث الإسلامي والعمل على تحقيقه ونشره، وتَجَلَّى ذلك في دراسته المَعَمَّقة عن الإمام الشافعي، والكندي، والفارابي، والبهاء زهير، وحثه تلاميذه وتشجيعهم على نشر الكثير من المخطوطات التي تتعلق بالتراث.

وقد استجاب طلابه فسلكوا هذا المسلك العلمي الرفيع، فحقق الدكتور محمد عبدالمهدي أبو ريذة (رسائل الكندي)، ونشرها. وحقق الدكتور عثمان أمين (إحصاء العلوم للفارابي). أما الدكتور عبدالرحمن بدوي فقد نشر عشرات الكتب التراثية، وترجم أهم كتب الفلاسفة والمستشرقين، وكل ذلك بما قبسوا من تأثير أستاذهم مصطفى عبدالرازق.

وقد لِمَسَ كثير من الباحثين أهمية منهج مصطفى عبدالرازق، فنوهوا به، وأشادوا بأهميته في الحفاظ على هويتنا الثقافية، وشخصيتنا الحضارية، وعدم إغفال الاقتباس من التيارات الفكرية الغربية حتى نقف على آخر منجزات العصر، لكيلا نتفوق داخل ذواتنا.

---

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(497).

يقول تلميذه أبو الوفا التفتازاني: "لقد آثر ببصيرته النافذة أن يطور ثقافتنا الإسلامية بحيث تلائم العصر، لا أن يتخلى عنها كما فعل بعض معاصريه بدعوى التجديد أو التقدم، ومن هنا كان عميق الجذور فيما ذهب إليه من آراء فلم تجرفه تيارات عصره وكانت عنيفة أشد العنف"<sup>(1)</sup>

فلام بين شريكته الإسلامية، وغربته الأوروبية، كما يقول الدكتور حسن محمود<sup>(2)</sup> ويقوم منهجه على التثبيت والتحقيق والاعتماد على أصول الثقافة الإسلامية... وكذلك آثار الغربيين والمستشرقين، فترك زبدها، وأخذ منها ما ينفع الناس ويمكث في الأرض<sup>(3)</sup>.

وهذا ما عبّر عنه الشاعر كامل الشناوي بأسلوبه الطريف حين قال: "كان يؤمن بالله ويؤمن بالإنسان، وكان من علماء الدين، وكان من علماء الدنيا، كان مفتوح العينين، والأذنين، والقلب، والدماغ، فرأى الجمال، وسمع الموسيقى، ووعى الحكمة، وفكّر في العلم، والفلسفة والفن... هذا الرأس ارتدي من الخارج العمامة والقبعة والطربوش، وارتدى من الداخل عمامة الثقافة الدينية، وقبعة الثقافة الغربية، وطربوش المجتمع المصري القديم"<sup>(4)</sup>.

ووصفت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد<sup>(5)</sup> تمكنه من البيان باللغتين العربية والفرنسية فقال: "كان ينطق العربية في فصاحة، ويتكلم الفرنسية في طلاقة"<sup>(6)</sup>

(1) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، عدد تذكاري، ص(69)

(2) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(86)

(3) - السابق، ص(86)

(4) - لقاء معهم، كامل الشناوي، ص.ص(124-125)

(5) - نعمات أحمد فؤاد: (1924م - 2016م)؛ كاتبة وأكاديمية مصرية، مهتمة بالحضارة والثقافة المصرية، درّست في عدد من الجامعات داخل مصر وخارجها.

(6) - أعلام في حياتنا، ص(16).

وهو ما دفع الدكتور أحمد زكريا الشُّلق<sup>(1)</sup> إلى تسمية كتابه الذي نشره متضمناً ترجمة لمصطفى عبدالرازق، ومذكراته: (الشيخ مصطفى عبدالرازق ومذكراته.. عقلٌ مستنير تحت العمامة)<sup>(2)</sup>

ويصفه تلميذه الفيلسوف د. عبدالرحمن بدوي فيقول: "لقد كان النُّبَلُ كُله، والمروءة كُلُّها. كان دائماً هادئ الطبع، باسم الوجه، لا يكاد يغضب، وإن غضب لم يعبر عن غضبه إلا بالحمرة في وجهه وصمتٍ كظيم: لقد كان آية في الحلم والوقار، لكنه وقارٌ عفو الطبع، لا تكلفٌ فيه ولا تصنعٌ"<sup>(3)</sup>

وهذا ما لفت الأنظار إليه الأستاذ أنور الجندي حين قال: "وتلك الطبيعة الثابتة التي لا يتحول منها شيء؛ سواء كان صاحبها في القاهرة أو في باريس، في الوزارة أو في الأزهر أو في الجامعة؛ أخذ من الأزهر اللغة والبيان والرصانة وأخذ من السوربون التحقيق العلمي ومزج الشرق بالغرب"<sup>(4)</sup>

وهذا ما أدهش توفيق الحكيم، فوصف عقليته بالمتفتحة، وقال: "كان يقرأ في كل شيء، ويذهب إلى أوروبا كل صيف ليجدد معلوماته، وكان أنيقاً، في وجهه إشراق الفكر، وإشراق العقيدة"<sup>(5)</sup>

ويُعلِّق الدكتور محمد الزيني على هذا المنهج الذي انتهجه مصطفى عبدالرازق فيقول: "ومن الجدير بالذكر أن هذا المنهج الذي تبناه شيخنا هو الذي قُدِّر له الانتصار على التيارين السابقين<sup>(6)</sup>، وانضم إليه كثير من المفكرين

(1) - أحمد زكريا الشُّلق: أستاذ جامعي، درّس في عددٍ من الجامعات داخل مصر وخارجها، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(2) - الشيخ مصطفى عبدالرازق ومذكراته.. عقلٌ مستنير تحت العمامة، د.أحمد زكريا الشُّلق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، القاهرة.

(3) - سيرة حياتي، ج 1، ص(61).

(4) - من أعلام الفكر والأدب، ص(74).

(5) - أساتذتي، ص(185).

(6) - يعني بالتيارين السابقين: التيار الراض للتحديث والمعاصرة، والتيار النابذ للأصالة والتراث.

المعاصرين لعل أبرزهم صديقه وزميله الدكتور طه حسين الذي عدل عن موقفه السابق.. وكثيرٌ من المفكرين الذين عاشوا هذه الحقبة وما تلاها"<sup>(1)</sup>

ويظهر هذا الجانب المهم من شخصيته في حديث إبراهيم زكي خورشيد عن إحدى محاضراته التي حضرها، وروى خبرها فقال: "لست أنسى محاضرة له ألقاها بالفرنسية في الجمعية الجغرافية، وهو في زيه الأزهري الأنيق، ووجهه الطلق السمح، وأناقته الوقور البادية، وقال في ختامها قولته المشهورة: "والدين واحد والشرائع تختلف"، فصفق له الأجانب رجالاً ونساءً، والتفوا به بعد المحاضرة، فكان يلتفت إلى هذا ويحيي هذه في بشاشةٍ مُحبِّبةٍ وأناقةٍ ساحرة، حتى راحت فضليات النساء الأجانب يصحن: ما أجمل هذا الشيخ وأظرفه، ويا لعلمه وأفقه البعيد، وساحته المشهودة"<sup>(2)</sup>

أما الأستاذ حسين أحمد أمين، وقد عرفه في أخريات حياته فيقول في قطع وثقة: "كان أكثر أهل الأرض سباحةً في طباعه، ورحابةً في أفقه، وأعمقهم أدباً واحتراماً إزاء الرأي المخالف لرأيه"<sup>(3)</sup>

أما سجية العطاء، والشعور باحتياج الآخرين فهي خصلةٌ مشهورة عن مصطفى عبدالرازق، فلم يكن يدخر شيئاً مما يشعر بحاجة أحدٍ إليه؛ فقد كانت شؤون الدنيا هيئته عليه؛ يقول زميله في الجامعة والمجمع الدكتور إبراهيم مدكور: "ألمتُ بأحد زملائنا مُلمّة، وفكّرتُ هيئةً التدريس بكلية الآداب في أن تقف إلى جانبه، وبدأنا نتذاكر فيما ينبغي أن نقدمه، واتفقنا على نسبة مئوية من مرتبنا الشهري ولم يدهشني أن يهمس مصطفى عبدالرازق في أذني قائلاً: هل

(1) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(86).

(2) - صور ضاحكة، ص(115).

(3) - شخصيات عرفتها، ص(22).

تعرف كم مرتبي؟ وكنت على يقين من أنه لا يحفل بهذه الأمور. وواضح أنه كان يسأل عن مرتبه لكي يقول بنسبة محترمة" (1)

وقد عرّف بأياديه البيضاء، الممتدّة دائماً لمساعدة المحتاجين، ففتح قلبه ومكتبته وقصره في القرية وفي القاهرة، لتلاميذه، ولطلاب العلم وللقاصي والداني؛ ممّن أراد أن يتزود بالمال أو بالعلم، أو بهما معاً. وبرّه بالفقراء، والإحسان إليهم، والشعور بمعاناتهم أظهر من أن يحتاج إلى بيان، وتدلُّنا على ذلك مواقف كثيرة، منها هذا الحديث الذي جرى بين الشقيقين: مصطفى وعلي عبد الرازق، وأنصت إليه رفيقهما الكاتب حافظ محمود (2) أثناء سيرهم في أحد شوارع عابدين الهادئة (3)، ثم رواه قائلاً: "كان حديثُ علي عبد الرازق يدور حول الظروف الاقتصادية القاسية التي ألمت بثروة الأسرة مما يُجتمُّ اختصار الكثير من النفقات.

فسأل مصطفى شقيقه عن أبواب الاختصار، فقال علي: لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلا وسعها، فنحن ندفع لعشرات الأسر رواتب شهرية من باب المساعدة. أليس من العدل أن نُبلِّغَ هذه الأسر أننا على كُرّه مِنَّا لن نستطيع لها عطاءً بعد شهر أو اثنين؟.

ولكن مصطفى كان حاسماً: لا يا علي. الموت أهونٌ عليّ مما تقول، أولئك ناسٌ رَبطوا عيشهم بعيشنا واطمأنوا لنا، فلنقطع نحن من أقواتنا لِنُعْطِيَهُمْ وإن اقتضى الأمر أن نستدين لنجنبهم مذلة الحاجة" (4).

ويضيف الصحفي حافظ محمود؛ أنه ذهب إليه في وزارة الأوقاف بعد ذلك بعشر سنين وهو وزير للأوقاف؛ فوجده يراجع طلباً لإحدى بنات وطنيٍّ عظيم

(1) - مع الأيام، ص.ص(103-104).  
(2) - حافظ محمود: (1907م - 1996م)؛ كاتب صحفي وناشط وطني مصري.  
(3) - انظر: سيرة الحبايب، ص(108).  
(4) - انظر: أساتنتي، ص(186).

لم يُخْلَفْ لذريته شيئاً، وكانت هذه الابنة تتقاضى راتباً شهرياً من الأوقاف الخيرية، عشرة جنيهات، لكن نفاذ الاعتماد تسبب في حرمانها من هذا الراتب. ونادي الوزير مدير مكتبه ليسأله: إذا لم تَجْبُرْ وزارة الأوقاف كَسَرَ مثل هذا القلب فلماذا وجدت هذه الوزارة؟!

قال مدير مكتبه: وما حيلتنا يا سيدي الوزير وقد استنفدت تأشيرات معاليك ضعف الاعتماد المقرر للخيرات؟

فيمد الشيخ مصطفى يده إلى مطروف كان قد تسلمه منذ قليل وبه راتبه الوزاري ثم يُعطي هذا المطروف إلى مدير مكتبه يسدُّ به نقص الاعتماد، قائلاً: وأما العشرة جنيهات التي كانت ترسل إلى كريمة فلان، فهذا قرار برفعها إلى عشرين. وحين تقدمون خيراً لأنفسكم، فقدموه من القلب وليس من الجيب<sup>(1)</sup>.

ويذكر الأديب أحمد أمين ما عرف عنه من أنه كان "يبدل العطاء للبائس والمحتاج، فكم بكته أسرُّ كان يعولُّها في الخفاء، وكم له من يد على اليتامى والفقراء، وكم أنفق في تعليم محتاج، وكم سعى في توظيف عاطل، أو دفع الظلم عن مظلوم، أو إيصال الخير المُستحق. وأسعفه على ذلك ماله الخاص، فأنفق منه الكثير، ومركزه في الجمعية الخيرية الإسلامية، ووزارة الأوقاف"<sup>(2)</sup>

ويقول تلميذه الدكتور عبدالرحمن بدوي: "كان آية في الإحسان إلى الآخرين، ما لجأ إليه مظلومٌ إلا حاول إسعافه، أو صاحبُ حاجةٍ إلا بذل له ما استطاع حتى لو كان من ماله. وكم له من أيادٍ بيضاء على طلابه"<sup>(3)</sup>

(1) - انظر: سيرة الحبايب، صص(108-109).

(2) - كيف أصبحوا عظاماً، ص(170).

(3) - سيرة حياتي، ص(61).

ويقول صديقه محمد كرد علي: "سألت مرة محاسب كلية الآداب وهو تلميذٌ من تلاميذ الاستاذ<sup>(1)</sup> عما إذا كان يجب أستاذه حقيقةً فأجابني: وكيف لا أحبه وصفاته التي تحببه الى النفوس كثيرة؟! ثم قال: اسمع قصة من قصصه فتعرف أني على حق في إكباري أخلاقه: جاءني ذات صباح يسألني عن عدد الطلبة الذين توقفوا عن أداء الرسوم الجامعية وهم مهددون بالطرده إن لم يدفعوا ما عليهم. فأحصيتهم له فقال: كم يبلغ مجموع المبلغ المطلوب، منهم؟ فقلت كذا. فقال: خذ مني ولا تطالبهم بعدها. وإذا سألوك. قل لهم: إن الجامعة قررت إعفاءهم، ولا تذكر لهم اسمي بالله عليك، وأذكر أنهم كانوا نحو ثلاثين طالباً. وله من هذا القبيل صدقات ينفق عليها من راتبه، ومن مُلِّكٍ ورثه من أبيه في بلده من الصعيد."<sup>(2)</sup>

ويُجمل تلك الصفات الأديب محمد الشرقاوي فيقول: "رجلٌ وهبه الله أجل هباته؛ من الجاه، والمال، والمجد، وهبه أجل هباته من الخلق الطيب، والحياء الجميل، الذي يزيد صاحبه رفعة، ومهابةً، ومحبة.

وجعل حياته كلها مثلاً كريماً للعمل الخَيْرِ الدؤوب، الذي يصدق أن يُقال في صاحبه: إن يُسراه لا تعرف ما تقدمه يمينه"<sup>(3)</sup>

أما زهده في المناصب فهو مشهود، وما عُرف عنه أنه سعى إلى منصب، بل كان يدفع بالتالين له إلى تلك المناصب، لأن مكانته في نفسه وفي قلوب عارفيه كانت أكبر من أن تحيطَ بها وظيفة، ويتحدث الدكتور عبدالرحمن بدوي عن هذه الخصلة النبيلة، فيقول: "كان عزوفاً عن المناصب الإدارية، ويتنازل عنها لمن هو حريص عليها؛ أذكر أنه في شهر مايو سنة 1936م أجريت انتخابات لمنصب

(1) - يعني بالأستاذ: مصطفى عبدالرازق.

(2) - المعاصرون، ص(437).

(3) - الرسالة، العدد(973)، 18 فبراير 1952م.

العمادة في كلية الآداب بعد أن شغل بنقل منصور فهمي إلى دار الكتب، فنال الشيخ مصطفى أكبر عدد من الأصوات، وتلاه الدكتور طه حسين، وحينئذ أعلن الشيخ مصطفى أنه لا يريد تولى منصب العميد، فكان أن عُين طه حسين عميداً، كذلك كان الشيخ مصطفى رئيساً لقسم الفلسفة، فلما جاءنا الأستاذ أندريه لالاند<sup>(1)</sup> في أكتوبر سنة 1937م تخلي له الشيخ مصطفى عن رئاسة القسم تقديراً لمكانة لالاند<sup>(2)</sup>

ويبلغ زهده في المناصب أن يتَحَسَّرَ على الزمن الذي ضاع منه في المناصب بينما كان يتمنى لو أنه انقطع للعلم والدرس الجامعي، فكتب قبل وفاته بأيام: "صرفتني الأقدار عن حياة المنطق إلى حياة ليست بمنطقية"<sup>(3)</sup>

ومما عرف به مصطفى عبد الرازق الوفاء لأصدقائه، ولكل من عرف، وتشهد على ذلك مواقف كثيرة، وشهادات من كتب عنه ممن عاصره، فلطالما قدّم غيره على نفسه في كثير من المواقف، بدافع الإيثار والوفاء، فحين عُيِّن في عام 1938م وزيراً للأوقاف أقام له قسم الفلسفة بكلية الآداب حفلاً قال فيه أحد الخطباء من تلاميذه: "إن شيخنا هو أول من ابتدع مادة الفلسفة الإسلامية وقام بتدريسها. ولما نهض الشيخ ليشكر من أقاموا له الحفل قال معقّباً على ذلك: إن علينا أن نرد الفضل إلى ذويه، فقد سبقني المستشرق الإيطالي سانتلانا<sup>(4)</sup> إلى تدريس هذه المادة في الجامعة المصرية الأهلية"<sup>(5)</sup>.

(1) - أندريه لالاند: (1876 - 1963)؛ أستاذ الفلسفة في السوربون، عمل بالجامعة المصرية، ألف المعجم الفلسفي، المعروف بـ(معجم لالاند).

(2) - سيرة حياتي، ج 1، ص(61).

(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(168).

(4) - سانتلانا: (1955م - 1931م)؛ مستشرق إيطالي، غني بدراسة الفقه المالكي، عين أستاذاً للفلسفة في الجامعة المصرية عام1910م.

(5) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، كتاب تذكاري، ص(39).

وقد أشار طه حسين إلى وفائه، وأكد على هذه الخصلة في أكثر من موضوع؛ فقال: "عرفته كذلك وفيًا لكل من أحب من الناس؛ لا يفرق بينهم في ذلك مهما تكن الظروف ومهما يبعد بهم الزمان والمكان ومهما تُلِّم الأحداث وتَدَلِّهْمُ الخطوب" (1)

ثم يحكي طه حسين قصة وفائه للأستاذ الذي سبقه إلى تدريس الفلسفة في الجامعة المصرية فيقول: "إنه وبعض أساتذة الكلية سافروا إلى روما لحضور مؤتمر بها، وقبل أن تطلأ أقدامهم أرض روما قال لهم مصطفى عبدالرازق: فلنضع في برنامجنا أن نزور قبر سانتلانا، ونضع عليه إكليلاً من الورد" (2)، وفاءً لأول مدرسٍ للفلسفة في مصر. ولا يخفى ما في هذا الموقف من الوفاء الكامل، والحب الإنساني الكبير؛ الذي يتسع لكل الأجناس (3).

وقد جاوزت حِلَّةُ الوفاء التي طُبِعَ عليها الوفاء للناس إلى الوفاء للأماكن التي مرَّ بها، أو أقام فيها، وخاصةً عندما يحلُّ بها ما يغير معالمها؛ فحين يصطاف في فرنسا عام 1924م، يزور فندق (أليون) الذي التهمه حريق، غير ناسٍ أنه أقام فيه منذ عام، ويكتب في مذكراته مقالة بعنوان: (على أطلال فندق)، ويعلل تلك الزيارة تعليلاً يفيضُ وفاءً فيقول: "في العام الماضي زرتُ إكس ليان لأول مرة. وقضيتُ فيها أكثر من شهر. وكان مقامي بها في فندق من خير فنادقها يطلُّ على المدينة من ربوة، متلاًئلاً بأنواره وبزواره.

هذا هو نُزل أليون؛ وقد التهمته النار في الشتاء كما ذكرت الجرائد في حينه.

ولما كنت كما يقول أبو الطيب:

---

(1) - كتب ومؤلفون، ص(92).  
(2) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق مفكراً وأديباً ومصلحاً، ص(39).  
(3) - انظر: قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(51)

## خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رُدِدْتُ إِلَى الصَّبَا      لِفَارَقْتُ شَيْبِي مَوْجَعِ الْقَلْبِ بَاكِيَا(1)

فقد رأيتُ مذ حللتُ إكس أن أقضي حقَّ الزيارة لذلك المنزل الخراب الذي  
أنستُ به عامرًا وعِشتُ في ظلاله دهرًا.

وإذا كان الوفاء قد غاض فلا تكاد ترجو عند أكثر الناس وفاءً للود، ولا  
وفاءً للحق، ولا وفاءً للعدل، ولا وفاءً للذمم، فإننا لا نريد أن نخون عهد هذه  
الجمادات التي إن لم تَجْزِ على الوفاء إحسانًا، فهي لا تجزي به - على كل حال -  
شرا" (2)

---

(1) - ديوان المتنبي: ج4، ص(421)، والمثبت في الديوان: (زَحَلْتُ) عوضًا عن: (زُدِدْتُ).  
(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(425).

## مصطفى عبدالرازق شاعرًا

بدأ مصطفى عبدالرازق حياته الأدبية شاعرًا، ذا ملكة شعرية قوية، وهذه الشعاعرية تجلت منذ مطلع شبابه، في مراسلاته إلى المجلات الأدبية التي كان يبعث إليها ببعض أشعاره، وتجلت ذلك في رثائه لأستاذه الإمام محمد عبده. ورثائه والده، وبعض المقطوعات التأملية الرومانسية.

يقول شقيقه علي عبدالرازق: "ولا شك عندي أن ملكة الشعر عنده كانت قوية غاية القوة كملكة الكتابة سواء بسواء، ولو أنه استمر يمارس الشعر كما فعل في النشر لكان مجده في الشعر والنشر شرعاً<sup>(1)</sup>، ولكنه بعد أن مضى في قرض الشعر بضع سنين أعرض عنه، ثم لم يرجع فيما أعلم إلى محاولته"<sup>(2)</sup>.

وقد كان انقطاعه عن كتابة الشعر متزامناً مع ارتحاله إلى فرنسا عام 1909م، ويروي شقيقه علي عبد الرازق، تساؤله عن سبب توقفه عن الشعر فيقول: "ولقد كتبتُ إليه ذات مرة، وهو يطلب العلم في فرنسا، أسأله عما صرفه عن الشعر، فكان فيما أجابني به: إننا شُغِلْنَا هُنَا بالحقيقة عن الخيال!"<sup>(3)</sup>. ويعلق الأديب أميل زيدان<sup>(4)</sup> على تركه الشعر واتجاهه للنشر فيقول: "لم أقرأ له شعراً قط ولكنني أعرف من نثره أنه لو كان اقتصر على الشعر لخسرنا فيه كاتباً عظيماً"<sup>(5)</sup>.

(1) - يعني: عاليًا وظاهرًا.

(2) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(17).

(3) - السابق، ص(17).

(4) - أميل زيدان: (1896م - 1982م)؛ أديب، وروائي، ومؤرخ، وصحفي لبناني، هو الابن الأكبر لجرجي زيدان مؤسس دار الهلال.

(5) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(15).

وقد مرَّ من قبل شعره في مدح الإمام محمد عبده وراثته<sup>(1)</sup>، وما كتب في رثاء والده<sup>(2)</sup>، كما أن له مقتطفات وشذرات شعرية، وإخوانيات<sup>(3)</sup>، حفظت برغم توقفه عن كتابة الشعر.

ويبدو على شعره أثرٌ من روحه المتأملّة الهادئة. كُلُّ ذلك كان في نشأته الأولى. ثم انصرف عن قرص الشعر. كما يؤكد ذلك شقيقه علي؛ فيقول: "ولا شك في أنه - رضي الله عنه - قد أعرض عن قول الشعر إعراضاً تاماً بل لعله قد أراد أن يتناسى هذا الجانب من حياته فلم يتجه إلى جمع آثاره فيه، ولا إلى إحياء ما قد كان جديرًا بأن ينشر منه، وهو غير قليل"<sup>(4)</sup>

ويُسَوِّغُ علي عبدالرازق إعراضه عن جمع شعر مصطفى عبدالرازق ونشره بعدد من الأسباب؛ فيقول: "ولقد هَمَمْتُ بأن أبذل جهدي في ما يتيسر جمعه من هنا وهناك، ثم صرفني عن ذلك أني وجدته هو لم يُرِدْ ذلك، وما كنتُ لأُنشُرَ شيئاً لم يُرِدْ هو أن يُنشر. على أني قد وجدتُ مع ذلك أن تلك الآثار قد تفرقت أشتاتاً وذهبت أيادي سبأ، وكان جمعها يرهقني من أمري عسراً، ثم وجدني عاجزاً عن تذكر كثير مما كانت وعته ذاكرتي، إذ مضى عليه نصف قرن أو يزيد، فلم يبق منه في الذهن إلا رسوم وأشباح"<sup>(5)</sup>.

(1) - انظر الصفحات: (26،28،29) من هذا الكتاب.

(2) - انظر الصفحة: (33) من هذا الكتاب.

(3) - انظر الصفحة: (23) من هذا الكتاب.

(4) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(18)

(5) - السابق، ص(18)

## مصطفى عبدالرازق أدبياً

لقد كان مصطفى عبدالرازق أدبياً من ذلك الطراز الممتاز النادر، الوجود والصعب تكراره، ومن ذلك النوع السهل الممتنع الذي يسهل على القارئ فهمه، ولكن يصعب تقليده في الكتابة<sup>(1)</sup>

يظهر هذا الملمح جلياً لكل من قرأ آثار مصطفى عبدالرازق ومقالاته، ومذكراته، وقد أشار إلى أسلوبه الأدبي الرفيع عددٌ من كتب أو تحدّث عنه؛ وأولهم طه حسين الذي وصف أسلوبه فقال: "أنت لا تجدُ فيما يكتبُ معنىً نافرًا أو فجأً؛ لم يتم نضجه قبل أن يُعرب عنه. وأنت لا تجدُ فيما يكتب لفظاً نابياً عن موضعه، أو كلمةً قلقَةً في مكانها، وإنما كلامه يجري هادئاً مطمئناً كما يجري ماءُ الجدول النقي، حين يداعبُ صفحتَه النسيم"<sup>(2)</sup>

ويصف الشيخ عبد الجواد رمضان<sup>(3)</sup> أسلوبه فيقول: "ذلك الطراز المنمنم، الذي تقطرُ الرِّقَّةُ من أعطافه؛ ويترققُ الحُسْنُ في أطرافه؛ ويجمع لك بين نفحات الزهر ونشوات الخمر، ونفثات السحر"<sup>(4)</sup>

ثم يقارن بين ذوقه العام وأسلوبه في الكتابة، فيقول: "هل رأيت الشيخ مصطفى عبد الرازق في ذوقه العام: في سمته، في لباسه، في حديثه، في نقاشه، في خطابه؟ ذلك هو مصطفى عبد الرازق في كتابته: خيوط عربية متخيرة سدَى

(1) - انظر: المفكر الإسلامي المعاصر مصطفى عبد الرازق، ص (24)

(2) - كتب ومؤلفون، ص(96)

(3) - عبد الجواد رمضان: من علماء الأزهر وأدبائه، توفي عام 1959م.

(4) - مجلة الأزهر، مجلد 22، عدد 8، شعبان 1370هـ - مايو 1951م، ص(716)

وُلُحْمَة، نسجتها بغداد، وفَصَلَتْهَا باريس تفصيلاً هندسياً محكم الضبط، رائع الانسجام؛ تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائناً المعاني" (1).

ويلفت خير الدين الزركلي (2) الأنظارَ إلى نقاء أسلوبه فيقول: "نقيُّ الأسلوب في بيانه، نَيْرُ الفكر، محاضراً وكاتباً؛ يحاسب نفسه على الكلمة" (3)

ويصف أنور الجندي أسلوبه فيقول: "هذه الطبيعة الإنسانية المشرقة هي طبيعة الأديب الذي يأخذ من كل شيء ولا يطغى عليه شيء من مذاهب القول أو الفكر، هذا الأسلوب الرشيق الذي يكتبه مصطفى عبد الرازق هو صورة نفسه المشرقة، هذه النفس التي ظلَّ صاحبها بعد أن عاد من باريس يلبس العمامة ويحتفظ بها إلى آخر العمر" (4)

فهو في "كل ما كتب يكشف عن نزعة أدبية، واهتمام بالحياة الاجتماعية، والتعمق في معاني الفلسفة، والتعبير عنها بعبارات سهلة واضحة" (5) فأسلوبه كما يقول الشاعر كامل الشناوي: "لم يكن أستاذاً أكبر في الفلسفة الإسلامية، والفقهاء، والتصوف فحسب.. وإنما هو أيضاً أستاذاً أكبر في الأسلوب، وطريقة الأداء.. فقد كان في كتابته ينسج مشاعره وأفكاره برشاقة تثير النشوة وتحلب الألباب" (6)

ويقول الدكتور محمد الزيني: "الطابع الغالب على مؤلفاته هو الأسلوب الأدبي المميز المُرَصَّع بالعبارات الموحية، والخيال الواسع، والإحساس الصادق، والشعور بالجمال، فأنت تقرأه فتستسيغُه نفسك، وتقرأه ثانية فيشدُّك أكثر، وتبتسم للسجع الخفيف الذي يزين حواشي كتابته دون أن تمل منه، كأنها صاغه من روح

---

(1) - مجلة الأزهر، مجلد 22، عدد 8، شعبان 1370 هـ - مايو 1951م، ص(716).  
(2) - خير الدين الزركلي: (1893م - 1976م)؛ مؤلف ومؤرخ سوري، صاحب معجم الأعلام؛ أهم كتب التراجم العربية المعاصرة، شاعر وأديب، ودبلوماسي.  
(3) - الأعلام، ج7، ص(231).  
(4) - من أعلام الفكر والأدب، ص.ص(72-73).  
(5) - هؤلاء الرجال من الأزهر، ص(269).  
(6) - لقاء معهم، ص(125).

شفافة هفهافة، تريد أن تكشف الغيب فلا تستطيع، وتبحر في بحار مجهولة فتحمل لك أسرار النفس والقلب والوجود"<sup>(1)</sup>.

وَيُعَلِّ شقيقه علي عبدالرازق عدوية أسلوبه وصفائه بنزعة الشعرية الأولى فيقول: "ولعل مَعِينَ الشعر الذي كان في نفسه صافياً ودفاعاً لم ينضب بإهماله، بل اتخذ سبيله إلى معين الكتابة الأدبية يمدّه بقوة إلى قوة وصفاء إلى صفاء. وكذلك صار أسلوبه الكتابي يتميز بدباجة يتآلف في ثناياها ركانة النَّثر وظَرْفُ الشعر، وقلماً اجتمع لأديب غيره ما اجتمع له من ذلك"<sup>(2)</sup>

ويعزو الأستاذ الدكتور يحيى هويدي<sup>(3)</sup> أسلوبه الأدبي إلى طبيعة نفسه فيقول: "تميز في كل ما كتب بنزعة أدبية رُكِّبت في طبعه، وانطبع بها أسلوبه"<sup>(4)</sup>

وعن حسه الأدبي ورقي ذوقه الأدبي يقول تلميذه محمد عبد الغني حسن<sup>(5)</sup>:  
"مصطفى عبد الرازق أديب قبل أن يكون فيلسوفاً، وشاعرٌ قبل أن يكون كاتباً، وتظهر شاعريته في رقة حاشيته، ولطف جانبه، وسلامة ذوقه في قيامه وعوده، وتسليمه ووداعه، واستواء هيئته، وحُسن نبرته، وفي حلاوة حديثه، وعدوية صمته"<sup>(6)</sup>

ويذكر لنا كيف وقف مصطفى عبد الرازق في حفل تأبين ميّ يجلِّله الوقار والمهابة وكيف افتتح تأبينه ببراعة نادرة حين قال: "لقد شهدنا مَشْرَقَ ميّ،

(1) - قراءة في فكر مصطفى عبدالرازق، ص(93).

(2) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(17)

(3) - يحيى هويدي: أستاذ الفلسفة، وعميد كلية الآداب جامعة القاهرة سابقاً، توفي عام 2014م.

(4) - الشيخ مصطفى عبدالرازق، مفكراً وأديباً ومصلاً، كتاب تذكاري، ص(49-50).

(5) - الشاعر محمد عبد الغني حسن: (1907م - 1985م)؛ كاتب، وشاعر، ومؤلف مصري، كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(6) - الشيخ مصطفى عبدالرازق، مفكراً وأديباً ومصلاً، كتاب تذكاري، ص(240).

وشهدنا مغيبها، ولم يكن طويلاً عهدٌ مَي، على أن مجدّها الأدبي كان طويلاً في الحياة عريضاً" (1)

وتعدُّ مذكراته التي كتبها باسم (الشيخ حسان الفزاري) من بواكير القصص القصير في الأدب المصري الحديث، التي جمعت بين الأدب والفلسفة، والنقد الاجتماعي الساخر في سياقٍ واحد، ولهذا يعدّها الكاتب الكبير يحيى حقي (2) إحدى أهم روافد القصة القصيرة؛ قبل أن تتشكل على النحو المعروف في البيئة العربية؛ فيقول: "كان بمثابة رافدٍ ثري كبير استمد منه عندنا نهر القصة القصيرة بعض أسباب انبثاقه ثم جريانه، هذا الضرب من التأليف الذي لا تستطيع أن تسميه قصة.. يُحدث في روح القارئ هذه الهزة اللذيذة.. إنه إذن بين بين، ولعل هذه الصفة البيبنينية هي التي تضفي عليه جماله الفريد الحائر النسب" (3)

ويُشغف الكاتب يحيى حقي بأسلوب مصطفى عبدالرازق في مذكراته التي نشرها في (الجريدة)، منتصف عام 1914م؛ وبلغت (16 مقالاً)، فيعلّق عليها بقوله: "أرسلها من باريس فتى مغترب لطلب العلم، لو استطعتُ أن أختزل هذه المقالات الطوال إلى حجم الحجاب لفعلت ووضعتها فوق قلبي لأكون في رفقتها حيث سرتُ؛ فلا أعرف قلمًا أحببتُ آثاره كهذا الذي خطّها، ولا بجَلتُ إنسانًا كصاحب هذا القلم، كم كنتُ أتمنى أن أُلثم اليد والأصابع التي منحتنا كل هذا الجمال، لم أحزن على شيء فإني إلا هذه القبلة" (4)

ويصف طه حسين عنايته بالكتابة، وجهده في تجويد ما يكتب فيقول: "يُحكّم المعنى، ويُحكّم اختيار اللفظ لهذا المعنى، ولا يكفيه ذلك حتى يلائم بين اللفظ واللفظ وبين المعنى والمعنى؛ حتى يُخرج القطعة الأدبية كأنها قطعة الحلي قد

(1) - السابق، ص(241).  
(2) - يحيى حقي: (1905م - 1992م)؛ أديب وروائي وقاص مصري.  
(3) - عطر الأحباب، ص. ص(161-162).  
(4) - عطر الأحباب، ص(166).

صيغت كأحسن ما يُصاغ الحلي على أدق أصول الفن وقواعده، وما أعرف أن  
أديباً معاصراً أُتيحت له الإجابة الفنية كما أُتيحت لمصطفى، ومصدر ذلك أنه كان  
يستأنى بإنتاجه، ولا يعجل به" (1)

وفي موضع آخر يصف طه حسين كتابته بأنها: "أسمحُ كلامٍ كتبه كاتبٌ في  
هذا العصر الحديث" (2).

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(66).  
(2) - كتبٌ ومؤلفون، ص(98).



## مصطفى عبدالرازق ناقدًا

تبدو النزعة النقدية لدى مصطفى عبدالرازق بوضوح في المقالات التي تناول فيها مؤلفات بعض معاصريه، من أمثال: كتاب (فجر الإسلام) لأحمد أمين، وكتاب (تراجم مصرية وغربية) لمحمد حسين هيكل، ورواية (أهل الكهف) لتوفيق الحكيم، فغالبًا ما يبدأ بالوصف الخارجي للكتاب، وأهمية موضوعه، ومدى حاجة المكتبة العربية إليه، ثم يتناول بناءه (من حيث تقسيمه إلى أبواب وفصول) ثم يحلل بنيته من حيث المراجع والمصادر التي استقى منها المؤلف معارفه، ثم يفحص لغته وتراكيبه اللفظية والاصطلاحية، وأخيرًا يقف على المنهج الذي عُرضتْ وعولجتْ به الأفكار<sup>(1)</sup>

والمقالات النقدية التي كتبها مصطفى عبدالرازق في جريدة السفور، وفي جريدة السياسة، ومجلة الثقافة، علاوة على كتابه عن البهاء زهير تُظهر ملكته النقدية، وميله إلى التجديد؛ فقد كتب عن الشعر مقالة نشرتها السفور (يونيو 1917م) ذهب فيها إلى أهمية الصدق في الشعر، وقال عن النَّسِيب: "تتمنى أن يعلم شعراؤنا حَقَّ العلم أن النَّسِيبَ مسلكٌ في الشعر وعِر، لأنَّ المُجيدَ فيه لا بُدَّ أن يكون ذا لوعة تهتز أوتار قلبه بتباريح العشق الكبير"<sup>(2)</sup>

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج1، ص(77).

(2) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(349).

ثم يلتمس للشاعر طريقاً آخر ليكون شعره في النسب قوياً ومؤثراً فيقول مستدرجاً: "أو أن يكون صناعاً قوياً الإحساس، قوياً النفوذ إلى أعماق القلوب ليصف أسرار غرامها وهي ألطف أسرار القلوب"<sup>(1)</sup>

فهو يؤكد هنا على أهمية التجربة وأن الشاعر المجرب أكثر صدقاً وتأثيراً في النفس من الشاعر المُقلِّد، لأنه قادر على الإفصاح عن تجربته ونقل الأحاسيس الغامضة بعبارة ناطقة، فيختار الألفاظ التي تناسب مع حالته.

ولمصطفى عبد الرازق آراء نقدية كثيرة بثها في الدوريات المختلفة، فقد كتب في السفور عن ديوان أحمد رامي<sup>(2)</sup> عام 1917م؛ وامتدح اختياره للبحور القصيرة ذات الرنين الموسيقي الملائم للذوق العام. وفي السفور أيضاً أثار قضية اللفظ والمعنى وانتصر للمعنى، وهذا يوضح ميله إلى الإبداع في مجال الفكرة<sup>(3)</sup>.

وحين صدر ديوان البارودي<sup>(4)</sup> كتب عدة مقالات في مجلة السفور، تناول فيها الشعر والشاعر، ثم تناول بالنقد طريقة شارح الديوان، ونبه على عدد من الهنات وقع فيها الشارح؛ بأسلوب ينم عن حسٍ نقدي رفيع<sup>(5)</sup>.

ومع أنه نقد عمل الشارح في عدة مواضع من تلك المقالات إلا أنه علق على نقد الأستاذ محمود أبو رية<sup>(6)</sup> لشرح ديوان البارودي، ودافع عنه، ووصف نقد (أبو رية) بالنقد القاسي<sup>(7)</sup>.

---

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(349).  
(2) - أحمد رامي: حمد رامي: (1892م - 1981م)؛ شاعر غنائي مصري. عين مستشاراً للإذاعة المصرية، حيث عمل فيها لمدة ثلاث سنوات ثم عُيِّن نائباً لرئيس دار الكتب المصرية.  
(3) - رواد معاصرون، ص(214).  
(4) - البارودي: (1839م - 1904م)؛ شاعر مصري، يُعدُّ رائد الشعر العربي الحديث.  
(5) - انظر: مقالات عن ديوان البارودي، من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(280-320).  
(6) - محمود أبو رية: (1889م - 1987م)؛ مشغولٌ بالسنة النبوية، له كتب فيها منها: (أضواء على السنة المحمدية).  
(7) - انظر مقالات عن ديوان البارودي، من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(305-307).

وعندما نشر توفيق الحكيم<sup>(1)</sup> مسرحية (أهل الكهف) عام 1933م، كتب مقالاً في السياسة الأسبوعية، وقف فيه عند الحوار المسرحي الذي بين طبائع الشخصوص وخبايا الضمائر، وأشار إلى ما تضمنته الرواية من تحليل العواطف وانطواء أسلوبها على سخرية، وذهب إلى أنها من أحسن القصص العربي الحديث. وقال بإمكان تمثيلها مما يظهر علو ذوقه الأدبي<sup>(2)</sup>.

ويقارن بين البارودي وشوقي<sup>(3)</sup> في أسلوب رفيع ينم عن سعة إحاطة وحسن تذوق؛ فيقول: "لا نعرف شاعراً كامل الفطرة، متين الذوق، جزل الأسلوب، بارع الصناعة مثل محمود سامي البارودي، من يوم عمق الأدب العربي بأمثال الرضي<sup>(4)</sup> ومهيار<sup>(5)</sup> حتى نشأ في هذا الجيل شوقي، الذي إن لم يبلغ مبلغ البارودي الشاعر الكبير في فخامة الأسلوب وقوة الملكة العربية فإنه الشاعر الفذ الذي توحى إليه القريضُ ألهة الشعر الحديث والجمال الحديث"<sup>(6)</sup>

وفي أغسطس 1939م كتبَ مقالةً في مجلة الهلال، عن أبي نواس<sup>(7)</sup>، كما نشرَ مقالةً في مجلة الثقافة أبريل 1940م عن ديوان الكاظمي<sup>(8)</sup> أكد فيها على الوجهة القديمة للشعر من حيث موسيقاه وأوزانه، فيقول انتصاراً للمعنى على اللفظ في علو البيان: "إذا كان الناس اختلفوا قديماً في أن جمال البيان راجع إلى اللفظ أو المعنى وظنوا في زمن من الأزمان أن الكاتب والشاعر صانعان تتجلى مهارتهما في الألفاظ وما إليها من الصور التي تلبسها المعاني استعارة وتشبيها، إذا كان كل

(1) - توفيق الحكيم: (1898م - 1970م)؛ رائد أدبي مصري، ومسرحي، من أعلام النهضة الأدبية الحديثة.

(2) - رواد معاصرون، أحمد الطماوي، ص(215).

(3) - أحمد شوقي: (1868م-1932م)؛ شاعر مصري يُعدُّ من أعظم شعراء العربية في العصور الحديثة، بويج بإمارة الشعر، ولُقِّبَ بـ (أمير الشعراء).

(4) - الشريف الرضي: (359هـ - 406هـ)؛ شاعر وفقهه ولد في بغداد وتوفي فيها. وهو صاحب كتاب نهج البلاغة.

(5) - مهيار الد بلمي: كاتب وشاعر فارسي الأصل، من أهل بغداد، جزل القول، مقمدا على أهل وقته، له ديوان شعر كبير، وتوفي عام 428هـ.

(6) - انظر مقالات عن ديوان البارودي، من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(281).

(7) - أبو نواس: (146هـ - 198هـ)؛ الحسن بن هاني؛ شاعر العراق في عصره، عالم باللغة له ديوان مطبوع.

(8) - عبد المحسن الكاظمي: (1871م - 1935م)؛ شاعر عراقي؛ عاش معظم حياته في مصر، أصدرت ابنته، الطيبية الأدبية رباب الكاظمي(1918م-1998م)، ديوانه في جزأين.

ذلك فيما مضى، فقد ذهبتُ دولةُ الألفاظِ اليومَ وقامتْ على آثارها دولةُ المعاني،  
دولةُ الفكرِ والشعور" (1)

وينبّه إلى ما قد يؤثر على الشعر، ويُغلب عليه سلطان العقل، وسلطان  
التجارب، فيقول: "والشعر العربي عندي ليس محتاجاً في رقيّة إلى هذه الاقتباسات  
الأعجمية، من أوزان لا تُطرب أنغامها أذواقنا، وعباراتٍ لا تصور فهمنا  
للأشياء، ولا إحساسنا، وليس محتاجاً إلى الخروج به عن وجهته؛ ووجهةُ الشعر  
أن يكون متعة لقلوبنا، ومنعشاً لعواطفنا، حتى لا يطغى سلطانُ العقل وسلطان  
التجارب الهادية على الإنسان المحتاج في كماله إلى انتعاش العواطف والقلوب" (2)

وبرؤية الناقد يتحدّث عن مخاوفه من انحراف أسلوبه من العناية بالمعنى إلى  
الانشغال باللفظ، فيقول: "أخاف أن يغلب على أسلوبي الكتابي نزوعُ جماعة  
اللفظيين بحيث تكون بهجة ما أكتبه لفظية أكثر منها معنوية. لا أدري سبباً خاصاً  
لعروض هذا الخاطر إليّ الليلة، ولكنني أراه خاطراً جديراً بالعناية.

هذا العيب الكتابي شائع عند قومنا حتى لتجد بين الأذكياء منّا من يرى قيمة  
البلاغة كلها في اختيار الألفاظ. وكنتُ أنا في حدائتي بالرغم مني أجري في هذا  
التيار أنظر إلى ديباجة القول قبل أن أمتحن معانيه، ثم ارتقى ذوقي الإنشائي قليلاً  
فصرتُ أشعرُ بأن الجمالَ اللفظي ليس إلا زينة لحسن المعاني، ودخل في أماننيّ  
العلمية أن أعدّل ذوقَ قومي من هذه الجهة؛ فإن عناية المنشئين؛ الكاتب والشاعر  
منطبقة على أناسٍ لا رُقِيَّ في معلوماتهم ولا أفكارهم ولا خيالهم ولا إحساسهم  
وهذا ضار بحركتنا الأدبية" (3)

(1) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(346).

(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج2، ص(344).

(3) - من آثار مصطفى عبد الرازق، ص(96).

ويكرر الدعوة إلى العناية بالمعاني في النقد فيقول: "إننا نغتبط بإقبال شبابنا على النقد، وقبولهم له، غير أننا نريد أن نوجّه أدباءنا إلى ناحية المعاني في ملاحظاتهم، وليتركوا الجانب اللفظي للنحاة واللغويين"<sup>(1)</sup>

وهذا الرأي وغيره من الآراء النقدية تؤكد أن مصطفى عبد الرزاق كان من المجددين في الأدب والنقد بأسلوبه غير المتكلف، وبموضوعاته المختلفة التي عليها طابع العصر، وبآرائه النقدية الفنية المتزنة التي واكبت التجديد وشاركت فيه<sup>(2)</sup>.

وينبه إلى أن "تعلق أهل البلاغة بالمحاسن الراجعة إلى اللفظ قد أضر بنهضة الأدب العربي الأولى، ونخشى أن يضرَّ بها اليوم مرة أخرى، إذا ظلَّ شبابنا يكتبون على ذلك النمط، الذي يسمونه شعراً منشوراً، وهو خلو من حرارة العواطف"<sup>(3)</sup>

وقد اعتنى بكتب الأدب من وقت مبكر، بتوجيه من أستاذه الإمام محمد عبده، ورعاية من والده، فطالع دواوين الشعراء وحفظ الأشعار، ودفعه ذلك إلى تأليف دراسته القيمة عن الشاعر المصري البهاء زهير، وكتابته عن الشعراء العرب قبل الإسلام وبعده.

وهو يرى من وجهة نقدية خالصة أن على الشاعر أن يجيأ عصره، معبراً عن ذلك العصر وأحداثه ومسجلاً لتلك الأحداث، وأن تتصلل موضوعات شعره بحياة الناس، ويؤكد هذه المعاني في حديثه في موضع آخر عن شعر البهاء زهير فيقول: "ويستطيع الناظر في شعر البهاء أن يستخرج أحوال عصره في كثير من الشؤون فهو يشير إلى عادات وشؤون دينية وغير دينية، وموضوعات شعره

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(357).

(2) - انظر: رواد معاصرون، ص(215).

(3) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(346).

متصلةً بعواطفه وبحياة زمنه أشد الاتصال، بخلاف غيره من الشعراء الذين يكون شعرهم صورة لحياة غير حياتهم، وعواطف غير عواطفهم<sup>(1)</sup>

ويكشف عن تقديره للنقد ورأيه في ضرورة انتشاره وشيوعه وقبوله في مقالة نشرها في مجلة السفور عام 1917م، بعنوان: (نقد الشعر) قال فيها: "كنا نحب أن نتعرض بالنقد لكل شعر ينشر في السفور ولكننا خفنا أن نروع بالمفاجأة تلك البلابل الصادحة على أفنان الصبا فأردنا أن نأخذ بالرفق في نقدها.

ويسرُّنا أن نجد من شعرائنا أنفسهم ميلاً إلى تمحيص أشعارهم، بل نراهم يتولون هذا التمحيص فيما بينهم.

نتمنى أن يكثر بيننا النقاد وأن يرغب شبابنا في النقد المبني على النمط العلمي وعلى لطف الملاحظة والإنصاف رغبتهم في نظم القريض. وإن بلدنا محتاج إلى النقد بمقدار ما هو محتاج إلى الشعراء<sup>(2)</sup>

ويدعو إلى تقبل النقد، فيقول: "إن العالم المخلص يسره النقد كما يسره الثناء"<sup>(3)</sup> ويعني بالنقد هنا كشف العيوب الفنية والفكرية في العمل الأدبي، ولذلك جعله مقابلاً للثناء. فهو يقدر للنقد دوره في تجويد العمل الأدبي، ويؤمن بأن كل عملٍ مهملٍ جود فلن يتسامى عن النقد والاختلاف؛ ووفق هذه الرؤية الفنية، والمنطلق الفكري، والقيم الأخلاقية يمارس النقد في أرقى صورته.

وحين يُقدِّم كتب تلاميذه أو أصدقائه فإن مقام التقديم لا يمنعه من الإشارة برفق إلى بعض الملحوظات، خدمة للمؤلف والقارئ معاً، ففي تقديمه لكتاب:

(1) - البهاء زهير، مصطفى عبدالرازق، ص(67).

(2) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(354)

(3) - السابق، ص(282)

(تاريخ الأخلاق)، لمحمد يوسف موسى<sup>(1)</sup> يقول: "ولا شك أن النقد الدقيق واجدٌ بعض ملحوظات في كتاب الأستاذ الفاضل، من ناحية الترتيب والتبويب، ومن ناحية الاعتماد في بعض الأحيان على مراجع ثانوية، ومن ناحية ظهور الترجمة في بعض العبارات ظهورًا يجني على أسلوبها العربي، لكن أمثال هذه الملحوظات لا تنقص من قيمة مجهودٍ يستحق الثناء"<sup>(2)</sup>

ومجمل القول أن الشيخ مصطفى عبدالرازق أحد المجددين في الأدب والنقد؛ بأسلوبه الأدبي الباهر غير المتكلف، وبموضوعاته المختلفة، التي عليها طابع العصر، وبآرائه النقدية الفنية المتزنة التي واكبت التجديد وشاركت فيه<sup>(3)</sup>

---

(1) - محمد يوسف موسى: (1899م-1963م)، عالم أزهرى، حاز الدكتوراه من السوربون، له عديد الآثار في تاريخ الأخلاق وفلسفتها.

(2) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(146)

(3) - انظر: مجلة الهلال مارس 1997م، ص(99)



## مصطفى عبد الرازق رائدًا للفلسفة الإسلامية

تُجمع الدراسات المعنية بتاريخ الفلسفة الإسلامية أن مصطفى عبد الرازق هو أول أستاذ مسلم للفلسفة الإسلامية، فهو الذي وضع الأسس المنهجية لدراساتها، فوصّف مباحثها، وحقّق صلتها بعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، والتصوف، وعلم الأخلاق، وتاريخ العلوم العربية، ومقارنة الأديان، وكتابات الفلاسفة من الكندي إلى ابن رشد<sup>(1)</sup>.

"يتفق المفكرون المنصفون سواء الشرقيون منهم أو الغربيون على أن مصطفى عبد الرازق كان فيلسوفًا على الحقيقة، أو بالأحرى (حكيمًا)، فإن حياته كلها كانت مفعمة بنوازع الخير ونبالة العواطف، وبالتسامح والتواضع وضبط النفس"<sup>(2)</sup>

وكان له الفضل في تصحيح مسار النظر إليها، وفي رد دعاوى المستشرقين بشأنها؛ مما كشف عن أصالة النظر الفلسفي في الفكر الإسلامي، وعلى نحو لم يكن معروفًا من قبل، فهو مَنْ بدأ تناول النقدي لمصنفات المستشرقين، وتحقيقاتهم؛ وعلى أثر هذه الخطوات العلمية المنهجية تكونت مدرسة الفلسفة التي تبعه فيها عددٌ من نوابغ تلاميذه<sup>(3)</sup>.

ولم يقتصر إسهام مصطفى عبد الرازق في دراساته الفلسفية في قاعة الدرس الجامعي، بل نشرَ المعارف الفلسفية بين عموم القراء، فعمل على تبسيط مباحثها،

(1) -ابن رشد: (520هـ - 595هـ)؛ فيلسوف أندلسي مسلم، درس الفقه والأصول والطب والرياضيات والفلسفة، وعرفه الأوروبيون معرفة واسعة.

(2) - موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، ج3، ص(123)

(3) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج1، ص(35)

وتوضيح غوامضها في مقالات صحفية نُشرت تباعاً في المجلات والصحف الرائجة حينذاك، محققاً ارتباط الفلسفة الإسلامية بعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم التصوف، ومؤرخاً لمراحل تأثرها بانحطاط البيئة الثقافية العربية، ثم محاولة بعثها في أخريات القرن التاسع عشر.

فهو أول أستاذ جامعي يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية من وجهة نظر إسلامية خالصة، حيث كانت تُدرّس من قبل في الجامعة المصرية من خلال الدرس الاستشراقي الذي ربط الفلسفة الإسلامية بالتراث اليوناني، وأنكر أي دور للعقل المسلم في تطوير الفكر الفلسفي عامة.

وريادته للفلسفة في العالم العربي المعاصر تمتد في تأثيره على طلابه سواء تلقوا العلم عنه بطريقة مباشرة، أو عن تلاميذه، أو استفادوا من منهجه<sup>(1)</sup>.

قدم الشيخ مصطفى عبد الرازق رؤية جديدة، تقوم على تلمّس نشأة التفكير الإسلامي الفلسفي في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية ويدرسوها دراسة وافية، ودعا إلى تدريس علم الكلام والتصوف في أقسام الفلسفة، وإلى البحث عن أوجه الأصالة والابتكار في الفلسفة الإسلامية.

وعدَّ الإمام الشافعي فيلسوفاً إسلامياً لأنه حاول أن يجعل من أصول الاستنباط الفقهي وقواعده علماً ممتازاً، وأن يجعل الفقه تطبيقاً لقواعد هذا العلم، وحلّل رسالته في الأصول مبيناً أن فيها مباحث تتصل بعلم الإلهيات أو علم الكلام، واعتبر علم أصول الفقه علماً ذا صبغة فلسفية ليس إلى انكارها من سبيل، وهو يُدخِلُ عِلْمِي الكلام والتصوّف في إطار الفلسفة الإسلامية بمعناها العام؛ وهو رأي لم يُسبق إليه<sup>(2)</sup>.

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج 1، ص(8).  
(2) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق؛ كتاب تذكاري، ص.ص(78-79).

وقد قضى شطراً من عمره في الجامعة وخارجها يُرسي قواعد البحث في الفلسفة الإسلامية، ويؤسس مباحثها، ويُحدد قضاياها<sup>(1)</sup>. مؤكداً على أن الاجتهاد بالرأي بداية النظر العقلي؛ متمثلاً في مباحث أصول الفقه، وعلم أصول العقائد الذي هو علم الكلام. ودعا وإلى دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية.

فكان ما قدّم من بحوث نقطة تحول في تاريخ الدرس الفلسفي؛ حيث قدم تصورًا خاصًا في نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي لم يُسبق إليه، وكانت الفلسفة الإسلامية تدرس على نحو يميل إلى النظر الغربي، حيث اهتمت الفلسفة الإسلامية بعدم الدقة والأصالة، والعجز عن الابتكار، وبأنها ليست إلا محاكاة للفلسفة اليونانية، وأنها اختصار سيئ قام به مترجمون غير جيدين للفكر اليوناني القديم.

وأنكر كثيرٌ من المستشرقين عن الفكر الفلسفي الإسلامي كل جديد وإبداع، وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة الكندي والفارابي وابن طفيل<sup>(2)</sup> وابن باجة<sup>(3)</sup> وابن رشد، وهي الطائفة التي عُرفت باسم فلاسفة الإسلام. وحاول هؤلاء أن يبينوا التطابق التام بين ما يسمى لديهم فلسفة إسلامية والفلسفة اليونانية، وأن يردوا الأولى إلى الثانية. وحصرُوا الفكر الإسلامي في دائرة واحدة لم يتخطوها وهي الفلسفة الإسلامية على طريقة اليونان، وأغفلوا جوانب أخرى أصيلة لم يلتفتوا إليها سواء عن عمد أو غير عمد، وهذه الجوانب هي ما حاول مصطفى عبد الرزاق أن يكشف عنها، ويبرز ما فيها من جدة وابتكار وأصالة وإبداع، من خلال دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية، وفي كتابات المسلمين الأصيلة، ودَحْضِهِ لمزاعم المستشرقين؛ من أن العقل الإسلامي غير قادر

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرزاق، ج 1، ص(35).

(2) - ابن طفيل: (493هـ - 581هـ)؛ فيلسوف وعالم وطبيب، من المفكرين العرب الذين خلّفوا آثاراً في عدة ميادين منها: الفلسفة والأدب والرياضيات والفلك والطب.

(3) - ابن باجة: أحد أبرز الفلاسفة المسلمين، اهتم بالطب والرياضيات والفلك والأدب والموسيقى، توفي عام (533هـ).

على إنتاج فلسفة يُعْتَدُّ بها؛ لأنه يميل إلى البساطة والوحدة ويرفض التعدد والتركيب. وأثبت المكانة الرفيعة التي تبوأها العقل في الإسلام، من خلال دراسته للنظر العقلي في الفكر الإسلامي، مُدْعَمًا بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وتحليله لمكانة الرأي في الفكر الإسلامي. فعلى يديه أصبحت الفلسفة الإسلامية واضحة المباحث، بَيِّنَةُ المعالم، ووضع كتابًا رائدًا في تاريخها، أصبح مرجعًا لكل من بحث بعده في الفلسفة الإسلامية، وسماه: (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية)، تضمن محاضراته وتحقيقاته، وخلصات دراساته التي قدمها لطلابه في الجامعة.

يحتل هذا الكتاب مكانة بارزة في الدراسات الفلسفية، وله الريادة في هذا المجال؛ فقد ألقى الضوء من خلاله على تطور الفكر الفلسفي الإسلامي، موضحًا روافده، ومنابعه، ومقوِّمًا آراء المستشرقين حياله، ومحددًا مباحث الفلسفة الإسلامية، والأطوار التي مرَّت بها؛ مُمَهِّدًا الطريق لمن جاء بعده؛ وفيه ناقش إنكار المستشرقين لأصالة الفلسفة الإسلامية، وفند أقوالهم، ودحض حججهم في تفرقتهم بين العقلية السَّامِيَّة والآرِيَّة، ومع ذلك فهو يُعَلِّق على جهود الغربيين في دراسة الفلسفة الإسلامية بعبارة متسامحة، تحاول إيقاظ روح الاعتدال والإنصاف فيقول: "إن كنا قد ألمعنا إلى نزوات من الضعف الانساني تشوب أحيانًا جهودهم في خدمة العلم، فإننا نرجو أن يكون في تيقظ عواطف الخير في البشر وانساقها إلى دعوة السلم العام والنزاهة الخالصة والإنصاف والتسامح مدعاة للتعاون بين الناس جميعًا على خدمة العلم باعتباره نورًا لا ينبغي أن يخالط صفاء كدر"<sup>(1)</sup>

وَحَلَّصَ من ذلك إلى أن للمسلمين فلسفةً خاصةً بهم، أطلق عليها اسم (الفلسفة الإسلامية)؛ وقد تجلَّتْ هذه الفلسفة في بداية النظر العقلي عند المسلمين

(1) - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص(41)

في علومهم ونستطيع أن نجد لها جذورًا وامتدادًا في علم الفقه وأصوله، وقد أفرد فصلاً لتعريفات علم الكلام وتطوره في الحضارة العربية الإسلامية.

وقد كان في حياته ممثلاً للفلسفة التي يؤمن بها، فعاشها في سلوكه، وذلك ما أكده غير واحدٍ من تلاميذه، فهذا تلميذه، فهذا تلميذه وصديقه الأثير الدكتور عثمان أمين يقول: "إن نعمة هذه الفلسفة نعمة عميقة، هادئة، دقيقة. إنها نعمة علوية قد تحطت حدود المكان والزمان، وأتلفت مع النعمة الكونية الكبرى؛ التي هي نعمة سخاء وصفاء، وهل هناك أسخى من أن يُمارس الأستاذ فلسفته تلك وأن يعيش عليها؟ وهل هناك أصفى من أن يُعلم الناس بسيرته ومثاله أن المحرك الطبيعي للإنسان إنما هو الأريحية والإحسان؟"<sup>(1)</sup>

ولم ينقطع اتصال مصطفى عبدالرازق بالفلسفة وطلابها بمغادرته الجامعة إلى الوزارة، ولا بعد توليه مشيخة الأزهر، فقد كان على اتصال دائم بطلابه في قسم الفلسفة، يشرف على رسائلهم؛ التي يكون في الغالب هو من اقترح موضوعاتها، ويكتب المقدمات لكتبهم، وترجماتهم، وتتحول صلة التلمذة إلى صداقة ممتدة، فلا يبخل عليهم بالرأي والتوجيه، فانتخبه زملاؤه وطلابه رئيسًا فخريًا للجمعية الفلسفية المصرية<sup>(2)</sup>.

وقد استجاب تلاميذه إلى دعوته؛ فامتدت من هذه الشخصية العلمية النادرة مدرسة فلسفية، عليها طابعه، جذبت إليها عددًا غير قليل من طلابه، فهو بحق من أحيا الدراسات الفلسفية باللغة العربية، وتأثر تلاميذه بأفكاره، وخرج من عباءة هذه المدرسة الفلسفية أساتذة الفلسفة الكبار الذين عمروا الجامعات العربية وغير العربية، وقدموا دراسات جديدة تكشف عن جوانب أصيلة في الفكر الفلسفي، فأبرزوا مواطن الأصالة في الثقافة العربية والإسلامية، وأثبتوا أن

(1) - رائد الفكر المصري، ص(225).  
(2) - انظر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ص(266).

الفلسفة الإسلامية حلقة من حلقات الفكر الإنساني، وأن أصالة الفلسفة الإسلامية تبدأ من علم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، تلك العلوم التي انبثقت من القرآن الكريم وصحيح السنة. وبرزت ملامح تلك المدرسة الفلسفية من خلال: العناية بالمنهج التاريخي التحليلي، والمقارن، والنقدي في دراسة الفلسفة الإسلامية.

وبتلك الجهود التي بدأها مصطفى عبد الرزاق، وأتمها تلاميذه أثمرت الفلسفة الإسلامية؛ فاتسعت مباحثها، وامتد نطاقها؛ فكشف تلميذه محمود الخضري عن ملامح الفلسفة الإسلامية في عصورها المختلفة، وكتب تلميذه محمد مصطفى حلمي عن الحياة الروحية في الإسلام، وانبثاقها في جوهرها عن الدين الحنيف وحده، ودرسَ فلسفة الحب الإلهي لدى ابن الفارض<sup>(1)</sup>، وسدَّ جانباً مهماً بدراسة التصوف في تاريخ الفلسفة الإسلامية.

كما درسَ تلميذه الدكتور محمد أبو ريذة المعتزلة، من خلال فكر ابراهيم بن سيار النظام<sup>(2)</sup>، وأثبت أن لهذا الشيخ الكبير من شيوخ المعتزلة فلسفة أصيلة تجعله من الرعيل الأول من فلاسفة الدنيا.

وألف الدكتور علي سامي النشار<sup>(3)</sup> كتاباً بعنوان "مناهج البحث عند مفكري الإسلام"، رد فيه على مؤرخي المنطق وعلماء مناهج البحث الذين ينكرون أن يكون للمسلمين مكانة مبدعة في نطاق علم مناهج البحث، وأنهم أخذوا بالمنطق اليوناني واعتبروه منهجاً لأبحاثهم. وأثبت بالوثائق أن المسلمين استخدموا طرق التحقيق التجريبية في دراستهم للطب والعلوم الطبيعية

(1) - ابن الفارض: (576م-632م)؛ أحد أشهر الشعراء المتصوفين، غالب أشعاره في العشق الإلهي.  
(2) - ابراهيم بن سيار النظام: ميلاده ووفاته بين عامي: (160هـ - 229م)؛ كَوْن له مذهباً خاصاً (النظامية)، وكان أستاذاً الجاحظ، فقيه، ومثقف، ومفكر معتزلي.  
(3) - علي سامي النشار: (1917-1980)؛ أحد كبار المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين، عالمٌ كبيرٌ شافعي المذهب برع في علم الكلام، والفلسفة، والمنطق.

والكيميائية والفلكية والنباتية، وأن هذا المنهج قد وصل إلى أوروبا واستفاد منه علماءها ونسبوه إلى أنفسهم، وكان سبباً في إقامتهم حضارة إنسانية وعلم حقيقي. وللنشر أيضاً دراسة وافية في ثلاثة أجزاء بعنوان "نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام" تتبّع فيها نشأة ذلك الفكر وأُسَسَ بنائه.

ونشر تلميذه محمود قاسم<sup>(1)</sup> أبحاثاً فياضة عن ابن رشد بالعربية والفرنسية، ورأى أنه يعبر عن روح الفلسفة الإسلامية وأصالتها، وأنه لم يتابع أرسطو متابعة الأعمى، ويبيّن أثر ابن رشد في فيلسوف المسيحية توماس الإكويني.<sup>(2)</sup>

وإلى جانب هؤلاء أسهم عدد كبير آخر من تلامذة مصطفى عبد الرازق في مجالات الفلسفة، يأتي في مقدمتهم: عثمان أمين، وتوفيق الطويل، وأحمد فؤاد الأهواني.

وتهتم مدرسة مصطفى عبد الرازق الفلسفية بالمناقشة العلمية، لا القدرح والاستبعاد، وتهتم بالمقارنة وكشف أثر الفلسفة الإسلامية في الفكر الأوروبي. وتعالج الثنائيات في الفكر الإسلامي؛ من القديم والجديد، والأنا والآخر، والدين والعلم، والعناية بفقهاء الأولويات، وفقهاء المقاصد، وفقهاء المآلات في معالجة مشكلات الواقع.<sup>(3)</sup>

واختار مصطفى عبدالرازق تسميتها (الفلسفة الإسلامية) لا (الفلسفة العربية) لأن مؤرخي الفكر الإسلامي قد ارتضوا هذا الاسم، ولأن الذين شاركوا في إبداع هذه الفلسفة من مسلمين وغير مسلمين عاشوا تحت ظلال الحضارة

(1) - محمود قاسم: (1913م- 1973م)؛ أستاذ الفلسفة في كلية دار العلوم لثلاثين عاماً متصلة، من مؤلفاته: (ابن رشد المفترى عليه)

(2) - توماس الإكويني: (1225م - 1274م)؛ فيلسوف وكاهن كاثوليكي، وعالم لاهوت، ويُعرف أيضاً بلقب العالم الملائكي.

(3) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج1، ص(98).

الإسلامية، ولأن هذه الفلسفة كُتبت بالعربية والتركية والفارسية، ولكنها ضمن نتاج الحضارة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

ولأهمية أبحاث الشيخ مصطفى عبد الرازق في الفلسفة الإسلامية، يقول جامع (الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق) الأستاذ الدكتور عصمت نصّار<sup>(2)</sup>: "إننا لا نجد دراسة جادة عن تاريخ الفكر الإسلامي وفلاسفته تخلو من اسم الشيخ مستشهدة بآرائه، سالكة دربه، فهو بحق أول من وجه دراسة الفلسفة الإسلامية إلى وجهتها الصحيحة، وهو كذلك أول من وضع منهجاً علمياً لدراسة مصادرها الأولى، وأول من أحيا الدراسات الفلسفية عامة في مصر والعالم العربي في العصر الحديث"<sup>(3)</sup>

---

(1) - انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة، ص(20).  
(2) - عصمت نصّار: أكاديمي ومفكر إسلامي؛ أستاذ للفلسفة الإسلامية والفكر العربي، ولد عام(1957م).  
(3) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق، ج1، ص(120).

## وفاته

بعد عودة الإمام مصطفى عبدالرازق من رحلة الحج في أوائل ديسمبر 1946م، أخذ يعالج ما يعالج من شؤون الأزهر شهرين ونصف، ويسيرُ حثيثاً في سبيل تحقيق الإصلاح الذي كان يترجيه للأزهر والأزهريين.

وفي منتصف فبراير 1947م واجه الإمام مصطفى عبد الرزاق الموت وهو على أناقته المعهودة، ووقاره النبيل؛ متوضئاً، متطيباً، مرتدياً أزهى حُلَّله. يروي شقيقه علي عبدالرازق قصة رحيله المفاجئ فيقول: "ذهب إلى الأزهر كعادته، فدَبَّرَ من عمله ما دَبَّرَ، ثم رأس جلسة المجلس الأعلى للأزهر إلى ما قبل العصر، ثم عاد إلى منزله فتغدى ونام القيلولة، ثم استيقظ فتوضأ وصلّى، وأخذ يلبس ثيابه، فشعر بإعياء وهبوط، فأوى إلى فراشه، ودُعي الطبيب من قريب لإسعافه فحضر، ولكنه وجد قضاء الله قد نفذ، ولا مرد لقضاء الله، وفي أصيل اليوم التالي صُلي عليه في الجامع الأزهر، ثم دُفن بمقابر الإمام الشافعي"<sup>(1)</sup>.

وقد أُبْنِ في جامعة القاهرة، وغيرها من المؤسسات العلمية، ومن كلمة الأستاذ أحمد أمين في تأبينه قوله: "ترك في نفس كل من عرفه فراغاً لا يُملأ، ولوعة يعز عليها الصبر. كان - رحمه الله - متميزاً في خُلُقِه، متميزاً في أدبه، متميزاً في علمه. نفسٌ كريمةٌ سَمحة، وقلبٌ عطوفٌ رحيم، وصدرٌ واسعٌ رحب، لا يحمل حقدًا، ولا ينطوي على ضغينة، وحلمٌ رائع لا يستفزه نزق، ولا يستخفه غضب، أخذ من الأرسطراطية أجمل ما فيها، ومن الديمقراطية أجمل ما فيها. أناقة في

(1) - من آثار مصطفى عبد الرزاق، ص(76).

الملبس من غير بهرجة، ورشاقة في الحركة من غير تَصْنَعٍ، وأدب في الحديث من غير تَرْفَعٍ، ودَعَاً في النفس من غير تَكَلُّفٍ" (1)

وكتب أحمد حسن الزيات في عدد مجلة الرسالة الصادر بعد وفاة مصطفى عبدالرازق: "قضى بموت الفُجاءة مساء يوم السبت الخامس عشر من هذا الشهر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر، فكانت الفجيجة بموته أليمة قاسية أرمضت النفوس، وأوجعت القلوب، وساد الحزن عليه جميع الأوساط والأقطار. فقد كان الفقيه -رحمة الله عليه- مثلاً للفكرة المستقيمة، والحكمة المهذبة، والإنسانية النبيلة، وكان كل هذا سجية في طبعه وغريزة في نفسه، فقد نشأ في بيت عريق الثراء والجاه، واتصل في أدوار حياته بمجالى النشاط السياسي والنضال الحزبي، ولكنه نشأ وعاش على طبيعة الخير وفطرة السباحة؛ فدرس في الأزهر جامعة الشعب، وسافر إلى فرنسا للدراسة، ثم عاد منها لا ليطلب منصباً يوازي جاهه ومكانته، بل ليجلس مجلس الأستاذ يفيد تلاميذه في الأزهر وفي الجامعة، وهكذا عاش طول حياته محباً للحكمة، قريباً من النفوس؛ ولقد تقلد المناصب الكبيرة. فعينَ وزيراً للأوقاف، ثم شيخاً للأزهر، ولكنه لم يتغير ولم يتبدل.

لقد كان الشيخ مصطفى عبدالرازق رجلاً نبيلاً فلاقى ربّه بهذه الميته النبيلة، ولقد رأى الناس نعشه محمولاً على الأعناق، ورأوا الألوف تحتشد لتشييعه والعزاء فيه، ولكنهم لم يصدقوا أنه مات، ولم تستطع أذهانهم أن تحتمل تلك الصورة الرهيبة، فيعتقدوا أن الموت طواه كما يطوى سائر الناس.

لن يموت الشيخ مصطفى عبدالرازق، ولكنه سيظل صورةً شاخصاً ومثالاً حياً في أذهان تلامذته ومريديه، وفي نفوس إخوانه ومحبيه، وفي قلوب أولئك

(1) - كيف أصبحوا عظما، ص(170).

الذين ملأ قلوبهم بفيض إنسانيته، وكرم سجيته، وما أفاء الله عليه من فضل عميم.

لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق عالمًا فاضلاً، وحكيماً مهذباً، وأديباً أريباً، وكم له من مَشَابِهٍ في هذا بين الناس، ولكنه كان إنساناً نبيلاً لا يشبهه في هذا إلا القليل من الناس، وحسبُكَ برجلٍ لم تُحسب له طول حياته كلمة نابية، أو كلمة شاردة أو إساءة قدمها. بل أضمرها، ولكنه عاش طول حياته يزرع الخير في كل مكان<sup>(1)</sup>.

ورحل الشيخ مصطفى عبد الرازق رجلاً الدين، وأستاذُ الفلسفة، وبقي منه إلى اليوم، وإلى الغد، الفنان الذي منح اللغة العربية جديداً في التفكير الحر، والأسلوب الساحر الأخاذ، والنبيل الذي تزين بالقيم السامية والخلق الرفيع، وحقق معنى الإنسان الفاضل، والفيلسوف الكامل، والمؤمن العامل.

---

(1) - مجلة الرسالة، 24 فبراير 1947م.



## رثاء الأستاذ الأكبر<sup>(1)</sup>

قصيدة رثاء للأستاذ عباس محمود العقاد<sup>(2)</sup>

عصفَ النَّعِيَّ بِكَلِّ قَلْبٍ خَافِقِ  
مَنْ رَابَ سَمَعَ السَّامِعِينَ بِخَطْبِهِ  
وَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالتَّقَى  
وَمَنْ ارْتَضَى شَيْمَ الثَّبَاتِ لَزِيهِ  
وَمَنْ اتَقَى حَسَدَ الْحَسُودِ بِخَيْرِ مَا  
نَظَرَ كَسَارِي النُّجْمِ مُوتَلِقٌ عَلَى  
بَلْعِ الْمَدَى فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعَا  
أَسْفًا عَلَيْهِ! وَكَمْ حَزِينِ أَسْفِ  
مَاذَا عَلَيْهِ لَوْ اسْتَتَمَّ بَقَاءَهُ  
ذَلِكَ الَّذِي كَمَلَتْ جَوَانِبُ فَضْلِهِ  
مَنْ مِثْلَ نَابِغَةِ النَّوَابِغِ، مِصْطَفَى  
رَجَاهُ وَالذُّدَّةِ الْكَرِيمِ لِعَايَةِ  
رَبَّاهُ حَبْرًا لِلدِّيَانَةِ فَاسْتَوَى  
وَنَمَاهُ فِي جِجْرِ الْعِبَادَةِ مُسْلِمًا  
وَأَعَدَّهُ لِلْعِلْمِ فَاسْتَوْفَى بِهِ

يَوْمَ اسْتَطَارَ بِنَعِي عَبْدِ الرَّزَاقِ  
وَهُوَ الْمَعْلَمُ كُلُّ عِلْمٍ صَادِقِ  
وَرَعَى مَعَ الْمَخْلُوقِ حَقَّ الْخَالِقِ  
وَلِرَأْيِهِ، وَلِكُلِّ سَمْتٍ لَانِقِ<sup>(3)</sup>  
يُرْجَى وَيُحْسَدُ مِنْ نُهْيٍ وَخِلَافِ  
أَدبِ كَأَفْوَافِ الرَّبِيعِ الْعَابِقِ  
وَعَلَا مِنَ الْأَحْسَابِ ذُرُوءَ شَاهِقِ  
أَسْفَى عَلَى ذَاكَ الْمُحْيَا الرَّائِقِ  
كَتَمَامِهِ فِي كُلِّ وَصْفٍ فَانِقِ  
وَتَنَاسَقَتْ فِي الْحُسْنِ أَيُّ تَنَاسُقِ  
فِي سَابِقٍ مِنْ مَجْدِهِ أَوْ لَاحِقِ  
حُسْنِي، فَوْفَاهَا وَفَاءَ الْوَائِقِ  
فِي نُخْبَةِ الْأَحْبَارِ أَسْبَقِ سَابِقِ  
فَهْدَى الْحَجِيجِ وَحَجَّ كُلَّ مَنَافِقِ<sup>(4)</sup>  
حَظَّ الْعَلِيمِ الْفَيْلَسُوفِ الْحَادِقِ

(1) - مجلة الرسالة، العدد (718)، 7 أبريل 1947م. وديوان العقاد، ج2، ص (294-295).  
(2) - عباس محمود العقاد: (1889م - 1964م)؛ شاعر وناقد، ومؤرخ، ومفكر مصري، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، له عشرات الكتب في الفكر والأدب والرجال.  
(3) - إشارة إلى تمسكه بالزِّي الأزهرى، أستاذًا في الجامعة، ووزيرًا في الحكومة؛ على خلاف المعهود.  
(4) - فهدي الحجيج: إشارة إلى توليه إمارة وفد الحج عام 1946م. وحجَّ كل منافق: أي أسقط حجته، ودحض شبهته.

وَعَذَاهُ بِالتَّبْيَانِ فَانْقَادَتْ لَهُ  
وَهْدَاهُ لِلإِحْسَانِ فَهُوَ وَلِيُّهُ  
وَرَجَاهُ لِلْعُلْيَاءِ فَاسْتَبَقَ الْخَطِيئَةَ  
لَا وَانِيًّا عَنْهَا، وَلَا مُتَعَجِّلاً  
وَكَائِتُهُ وَعَدُّ الْأَمِينِ وَفَى بِهِ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدَرًا قَضَاهُ لَمَا قَضَى  
إِنْ الْمَطَالَعُ لَا يَقْرُرُ قَرَارَهَا  
يَا أَخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ صَفْوَهُ  
حَتَّى السَّخْمُولُ بَلَغَتْ غَايَةَ حَظِّهِ  
لَمْ أَلْقَ قَبْلَكَ مِنْ نَبِيهِ أَمِنْ  
تِلْكَ الْمَدَامِغِ مَا امْتَزَجْنَ بِدَمْعَةٍ  
وَلَتِلْكَ مِنْ رِضْوَانِ رَبِّكَ آيَةٌ  
فَادْخُلْ حَظِيرَتَهُ بِخَيْرِ خَلَائِقِ  
مَا الْمَوْتُ يَا كَشَّافَ كُلِّ حَقِيقَةٍ

غَرَزَ الْيِرَاعَ بِكُلِّ مَعْنَى شَانِقِ  
لِمَعَاهِدِ الإِحْسَانِ غَيْرُ مَفَارِقِ  
سَبَقَ الْكِرَامَ إِلَى الْمَقَامِ السَّامِقِ  
فِيهَا، تَعَجَّلَ مُشْفِقٍ مِنْ عَانِقِ  
فَطَوَى صَحِيفَتَهُ كَلِمَحِ الْبَارِقِ  
كَالنَّجْمِ يَرْجِعُ غَارِبًا مِنْ شَارِقِ  
بَعْدَ التَّمَامِ، وَلَا تَدْوَمُ لَطَارِقِ  
بُورِكَتٍ مِنْ ذِي مُعْجَزَاتِ خَارِقِ  
عَجَبًا، وَأَنْتَ مِنَ الْغُلَا فِي حَالِقِ  
مِنْ شَرَّةِ الْبَاغِي وَغِيظِ الْحَانِقِ  
مِنْ كَاذِبِ فِي حُزْنِهِ أَوْ مَاذِقِ  
تَخَذَتْ مِنَ الإِجْمَاعِ أَصْدَقَ نَاطِقِ  
مَرَضِيَّةٍ مِنْهُ وَخَيْرِ عِلَاقِقِ  
إِلَّا حَقَائِقَ حُجِّبَتْ بِحَقَائِقِ

## ذكرى عالم<sup>(1)</sup>

قصيدة رثاء للأستاذ محمد عبد الغني حسن<sup>(2)</sup>

مرّت عليك السبعة الأعوامُ      فكأنها يا مصطفى أحلام<sup>(3)</sup>  
وكان صوتك في المسامع لم يزل      ينسابُ منه اللحنُ والأنغامُ  
ويكادُ وجهك في المحافلِ مُشرقاً      ينجابُ عنه الغيمُ والإظلامُ  
وكانَ طلعتك الرقيقةُ لم تزل      يفتّرُ عنها ثغرك البسامُ  
وكانَ في بُرديك نَفْحًا غالياً      وعلى سَنائك بشاشةٌ تُستامُ  
جدلانُ تفرخُ باللقاءِ.. كأنّما      لك في بشاشاتِ اللقاءِ غرامُ  
نزرُ الكلامِ، فإن نطقت فإنّما      شفّتك بينهما الكلامُ نظامُ  
مُتأنِّقاً فيما تقولُ كأنّما      لألفظِ عندك رعيّةً ومقامُ  
مُتحرّجاً فيما تقولُ كأنّما      للقولِ عندك حرمةٌ وِزامُ  
لك في أناتك ما يصونُ، وربما      زلّت من المُستعجلِ الأقدامُ  
تزنُ المواقعَ للكلامِ وطأما      قد أخطأ المتكلمينَ كلامُ  
ويَعِفُّ من أدبٍ لسانك إنّه      قد عَفَّ لَمّا عَفَّتِ الأفهامُ  
هيهاتَ للفكرِ الطهورِ فإِنَّه      ليستُ تشوبُ لسانه الأثامُ  
يا أيّها الشيخُ الوقورُ تحيةً      وعليك في دارِ السّلامِ سلامُ  
المسلمون عليك ضجّ لواؤهم      لَمّا انطوى ركنٌ، وهُدَّ قوامُ

(1) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، كتاب تذكاري، ص.ص(141-142).  
(2) - الشاعر محمد عبد الغني حسن: (1907م - 1985م)؛ كاتب، وشاعر، ومؤلف مصري، كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.  
(3) - يبدو من هذا البيت أن القصيدة قيلت في ذكرى رحيله السابعة التي أقيمت عام 1954م.

جِيلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَلَّ مِثَالُهُ  
أَوْلَمَ تَنَحَّ مِصْرَ عَلَيْكَ، وَيَنْفَطِرُ  
أُمَّمَ تَوْلَفُهَا الْعَرُوبَةُ وَحَدَّةً  
إِنْ مَالَ فِي لِبْنَانَ مِنْهَا حَانِطٌ  
أَوْ تَخْتَلَفُ رَحْمٌ بِهِمْ فَبِحَسَنِ بِهِمْ  
يَا قَائِمَ اللَّيَالِي فِي أَبْحَاثِهِ  
الآنَ قَرَّ بِكَ الْقَرَارُ.. كَأَنَّمَا  
فَكَأَنَّمَا عَقَمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ  
قَلْبُ الْعِرَاقِ، وَيُسْتَفْزُ الشَّامُ؟  
وَيَضُمُّهَا فِي الْفِكْرَةَ الْإِسْلَامُ  
مَالَتْ لَهَا بِجَلَالِهَا الْأَهْرَامُ  
أَنَّ الْعَرُوبَةَ بَيْنَهُمْ أَرْحَامُ  
وَالنَّاسُ عَرَقِي فِي الْحَيَاةِ نِيَامُ  
لَمْ تَضْطَرِبْ لَكَ فِي الْحَيَاةِ خِيَامُ

شَكَرَاتُكِ كِتَابَاتِهِ  
وَقِسْمَاتُكِ أَفْكَارِهِ



## القرآن الكريم

القرآنُ مُصَقَّلَةٌ القلوب كما ورد في الحديث، وما أحوج قلوبنا إلى ما يصقلها ويجلو منها الصداً! والقرآن هدىً ونور، فهل إلا القرآن لِمَا يَغشى العالم اليوم من ظلام وضلال؟

والقرآن من بعد هذا ثقافٌ للألسن، يقومُ عِوَجَها، ويُصلحُ عُجَمَتَها، ويغذي من البلاغةِ مادَتَها<sup>(1)</sup>.

## الدين والشريعة

الإسلام دينٌ وشريعة؛ فأما الدين فقد استوفاه الله كُلُّه في كتابه الكريم، وَكَم يَكِلُ الناس إلى عقولهم في شيء منه، وأما الشريعة فقد استوفى أصولها ثم ترك للنظر الاجتهادي تفصيلها<sup>(2)</sup>.

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(400)  
(2) - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص(136).

## خُدَامُ الحَرِيَّةِ

إن الذين يخدمون الحرية الفكرية هم خُدَامُ الحق وأنصاره، فإن العقول المستعبدة لا تسمو إلى جلال الحقيقة وجمالها.

وإن الذين يفكون العقول من أغلالها، إنما يمهدون لها السبيل إلى الحق، والدين من أسمى الحقائق في هذا الوجود.

حيا الله خُدَامَ حرية الفكر واستقلاله، وزادهم تشيئاً وتوفيقاً، وجزاهم عن الدين وعن العلم خيراً<sup>(1)</sup>

## حَرِيَّةُ المَرَأَةِ

إنَّا وإن كنا أنصاراً لحرية المرأة فإننا أنصارٌ لِحُسْنِ الدَّقِيقِ والكرامة وأنصارٌ للفضيلة أيضاً<sup>(2)</sup>

## العِلمُ

إن العلم يُعني الأمة الفقيرة، ولكن الغنى لا ينفعُ الأمةَ الجاهلة<sup>(3)</sup>

---

(1) - الشيخ مصطفى عبدالرازق مسافراً ومقيماً، ص(115)

(2) - السابق، ص(91).

(3) - من آثار الشيخ مصطفى عبدالرازق، ص(323).

## النوم

النوم أحسنُ لذاتِ الحياة، تشترك الروح فيه والبدن، ولستَ تحتاج في التَّمَتُّعِ به إلى جهدٍ تبذله، ولا شريكٍ يعينك على تحصيله، ولستَ تخافُ من الإسراف فيه ضررًا يحيق بك، أو يقع على غيرك.

النوم ملجأً المكرويين، يخفف عنهم مرارة اليقظة، ويضع على جراح قلوبهم بلسماً، وهو صديقٌ للسعداء يقوي أعصابهم لاحتمال السعادة، ويدفعُ عنهم سأمَ استمرارها، ويصقلُ حواسهم للتمتع.

ينجيك النوم من رؤية الثقلاء، ومن سماع الثقلاء، وينجيك من ثورة الشهوات والمطامع، وفوران الأحقاد والضغائن<sup>(1)</sup>.

## النظام

النظام في حياة الفرد مظهر لقوة وجوده، والنظام في حياة الجماعة آية القوة في وجودها.

والوجود القوي هو الأكمل بالضرورة فهو مطعمٌ كُلُّ موجودٍ يُريدُ الكمالَ وَيَفِرُّ من النقص<sup>(2)</sup>

(1) - الشيخ مصطفى عبدالرازق مسافراً ومقيماً، ص(39).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(224).

## إيمانُ العجائز

فاللهم إيمانًا كإيمان العجائز! أليس الدين جميلًا في إخلاصه ويقينه؟ وجميلًا فيما يمسخ من آلام البشر بيمينه؟ إنما يُشوِّهُ الدين أولئك الذين يريدونه كيدًا وتضليلًا، وقيدًا للعقول والقلوب ثقيلًا<sup>(1)</sup>

## الدُّلة

الدُّلة شرٌّ كُلُّهَا تقتلُ خيرَ خصالِ المرء؛ تقتلُ الشَّمَمَ، وَكِبَرَ الهِمَّةِ، والطموحَ إلى المعالي، وتقتلُ حُبَّ الحُرِّيَّةِ، وَحُبَّ الاحترامِ، وأيُّ فضلٍ يبقى لإنسانٍ قُتِلَتْ فيه كُلُّ هذه الخلال. (2)

## جمالُ الفكرة

إن هناك لجانبًا من الجمال أبعدُ غورًا، وأنفذُ سحرًا، وأقوى أثرًا، هو جمال الفكرة أو العاطفة التي يُرادُ بالبيانِ العبارةُ عنها. (3)

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(419).

(2) - السابق، ص(268).

(3) - السابق، ص(161).

## القديم والحديث

كُلُّ ما نرجوه لهذه الأمة هو ألا يسوءَ ظُنُّها بالحديث، وألا تحتقرَ القديم، فإن مجدها المأمول يقوم على الأخذ بالحديث واحترام القديم.<sup>(1)</sup>

## القرية

جميلة هذه الأرض في هذا الأوان إذ يكون نباتُ الذُّرَّةِ مطارفَ من سندس تطرزها جداولُ الماء ويجري النسيم في جنباتها لطيفاً منعشاً، وجميلة هذه الليالي المقمرة يكاد يجد المرء في هدأتها النيرة تلك السكينة التي تذهب بالنفس في أعماق الماضي، وتُسقُّ لها حُجُبُ المستقبل فتريحها بين الذكرى والأمل<sup>(2)</sup>

## الدين والفلسفة

إن أقصى أمانٍ الدِّين والفلسفة أن يتعاونوا على إسعادِ الإنسان: هذا من طريق القلب والعواطف، وهذا من طريق العلم والنظر، لا أن يتلاقيا في ميدان واحد؛ وجهًا لوجه.

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(373).

(2) - السابق، ص(184).

إني أحبُّ الحريةَ حُبًّا يجعلني حريصًا على أن تكونَ للعقول حريتها في الفهم،  
وللقلوب حريتها في الإيمان؛ ما كانت الفلسفة لتعادي الدين ولكنها أيضا لا  
تخدمه. (1)

## الاعتدال في التواضع

التواضع عدلٌ في تقدير الإنسان قيمة نفسه بالنسبة إلى من هو أكمل منه  
فضلاً وبالنسبة إلى من هو دونه؛ فهو يعتمد على حسن معرفة الإنسان لنفسه  
وصدق حُكمه في الموازنة بين مقادير الناس. غير أنه من الصعب على المرء أن  
يعرف نفسه على الحقيقة وأن يخلص إلى العدل في وزن قيم الناس. من أجل ذلك  
تجد التواضعَ فينا يذهب إلى ناحية الذلة وتجدنا نعدُّ كثيرًا من الأذلاء  
متواضعين. (2)

## النفعيون

انظر الى ما حولي من صلوات الناس بعضهم ببعض فلا أرى لها أساسًا إلا  
المصلحة، وكلما ازداد عرفاني لحال العالم وممارستي لما يحيط بي من الأوساط  
المختلفة وجدتُ البحث عن الفائدة مرمي غرض الروابط الودية كُلِّها، فما أكاد

---

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(124).

(2) - السابق، ص(268).

أعثر على مودة خالصة. ولقد أصبحت أظنُّ أن الود المبني على الثقة والتعاطف  
عزیزٌ في الناس أو غيرٌ موجود<sup>(1)</sup>

## الحرب

أنا من أولئك الذين يكرهون الحروب ويريدون للبشر رقيًا منتظمًا في ظلِّ  
السلام والحربة، وآلم شيءٌ قلبي أن يفترس الإنسانُ الإنسانَ كما تصنع الوحوشُ  
في البيداء.<sup>(2)</sup>

## الفقر والإحسان

يجيئني في كثير من الأحيان أناس يلتمسون مني عونًا أو شفاعتًا، وفي  
نفوسهم ثقلٌ ينبو بالعين عنهم، ولقد تهَّم نفسي بصرفهم تبرمًا بهم، ثم أعود  
فأقول: ربما كان الإحسان إلى هؤلاء هو خيرٌ أنواع الإحسان، فإن الذي تُمدُّه  
بمعونتك وأنت تميلُ إليه وتعطف عليه، قد لا يخلص برِّك من هوى، ومن شبه  
معاوضة في ذلك الصنف من اللذة الذي تجده.

أما ذلك الثقيل المحتاج، فأنت تدافع في سبيل الإحسان إليه عوامل البغض،  
فتزكو نفسك من الشوائب، وتخلص من مطاوعة كل عاطفة إلا عاطفة البرِّ  
والإحسان، وللفقر صدمة تزلزل كيان المرء، ولا يقوى على الثبات معها إلا

(1) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(238، 239).

(2) - السابق، ص(268).

الكَمَلَةُ، فعلينا أن نغفر للفقراء كثيراً من شذوذهم، وَضَعْفِ ما في نفوسهم من اللطف، وقد يداويهم الإحسان ويشفي الصدر.<sup>(1)</sup>

## الخمول

شَرُّ أدوائنا الخمول؛ وهو عِلَّةٌ ضَعَفْنَا في كل وجهٍ من وجوه الرُّقي؛ وذلك بأن المدنية ثمرة النشاط الإنساني، وكُلَّمَا كبر ما ينفقه الناس من مجهودهم في سبيل الحياة كانت حياتهم عظيمة ومدنيَّتُهُم راقية؛ نحنُ أُمَّةٌ خاملةٌ تبدو مظاهر الخمول في جميع نواحيها<sup>(2)</sup>

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(390).

(2) - من آثار مصطفى عبدالرازق، ص(374).

أَشْرَافُ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَ



"لئن عُدَّ مصطفى عبد الرازق في التأليف من المُقلِّين

فقد كان فيه من المجودين المحققين"

محمد كرد علي، المعاصرون، ص (438)



## مؤلفاته

### - البهاء زهير

وهو أحد الشعراء المصريين، ولد بمكة عام (581هـ)، ونشأ وتعلّم بمصر، وقد أعجب مصطفى عبدالرازق بشاعرية البهاء زهير، منذ الطفولة؛ فافتتح مقدمته لهذا الكتاب بقوله: "عرفتُ شعر البهاء زهير إذ أنا صبيُّ أقرأ على والدي -رحمه الله- شيئاً من كتب الأدب في بعض الليالي، وقد أحببتُ شعر البهاء زهير منذ عرفته"<sup>(1)</sup>.

صدرت طبعته الأولى عام 1936م، وهو قسمان؛ الأول: تناول فيه حياة الشاعر وعصره، ومكانته الأدبية، وأسلوبه. والثاني: تناول فيه بعض قصائد البهاء زهير بالنقد والتحليل.

### - الدين والوحي والإسلام

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1945م. ويشتمل على ثلاثة أبحاث، تناول أولها: الدين، وهو نص المحاضرة التي ألقاها في الجامعة الأمريكية ببيروت، ونشرته مجلة الهلال عام 1932م، وتناول في ثانيها: الوحي، وخصّ ثالثها: بالحديث عن الإسلام، وهو نص التعليق الذي كتبه لدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها العربية عام 1933م.

---

(1) - البهاء زهير، مصطفى عبدالرازق، ص(5)

ويتناول الشيخ مصطفى عبدالرازق هذه المصطلحات الثلاثة بالتحليل والتعريف، ويسلك مسلك الفلاسفة في تحديد ماهية كل كلمة.

### - الإمام الشافعي

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1945م. ويشتمل على مجموعة مقالات نشرها المؤلف بين عامي (1932م و1934م). ومصطفى عبدالرازق من معتنقي مذهب الشافعي وومن المعجبين به، ولذلك فقد اختاره موضوعاً لرسالته للدكتوراه، التي حالت الحرب العالمية الأولى عام 1914م بينه وبين مناقشتها، وتضمنت الدراسة نشأته وسيرته، والعوامل المؤثرة في تفكيره، واستقراره في مصر ووفاته فيها، ونوّه بمؤلفاته وآثاره العلمية، وتتبع نشأة الدراسات الفقهية في الإسلام، وناقش موقف الشافعي من أهل الرأي وأهل الحديث، وأشاد بدوره الكبير في وضع أصول الفقه.

### - الإسلام والتصوف:

ظهرت طبعته الأولى عام 1962م، في (78 صفحة)، عن دار الشعب، ويشتمل على قسمين؛ أولهما: نص بحث (ماسينيون) عن التصوف الذي نُشر في دائرة المعارف الإسلامية، وثانيهما: تعليق المؤلف على هذه المادة، واشتمل التعليق على خمسة مباحث، هي: (نشأة كلمة صوفي ومتصوف وأصلهما، التصوف وما مر به من أدوار، الولاية وصلتها بالتصوف، وكرامات الأولياء، نبوة النساء وولايتهن، ورابعة العدوية) وقد نشر بعضها على شكل مقالات متفرقة في مجلة المعرفة والأهرام والسياسة الأسبوعية.

## - فيلسوف العرب والمعلم الثاني

يضم هذا الكتاب الذي صدر عام 1945م، تراجمَ خمسةٍ من مفكري المسلمين وعلمائهم وهم: (الكندي، المتوفى 252هـ)، و(الفارابي، المتوفى 328هـ)، و(المتنبي، المتوفى 354هـ)، و(ابن الهيثم، المتوفى 430هـ)، و(ابن تيمية، المتوفى 728هـ). وقد نُشرت هذه المباحث منفردة على صفحات مجلة كلية الآداب، والسياسة الأسبوعية، والأزهر، والكتاب التذكاري عن ابن الهيثم.

## - الإمام محمد عبده

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1946م، ويضم مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف في جامعة الشعب، عن الأستاذ الإمام محمد عبده، عام 1917م. فقد كان ينتهز كل مناسبة من المناسبات للتنويه بحياة الإمام محمد عبده وسيرته، وفكره. وعرض قواعد منهجه، ودوره الإصلاحية للنهوض بالأزهر، ومحاولته الجادة لتجديد الفكر الإسلامي، فاجتمعت من تلك المحاضرات مادةٌ هذا الكتاب؛ الذي صدر عام 1946م.

## - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

صدر عام 1944م، ويشتمل على المحاضرات التي ألقاها مصطفى عبدالرازق على طلبة قسم الفلسفة في الجامعة المصرية؛ بين عامي: (1927م و 1938م)، ويحتوي باين ألقى الضوء خلالها على تطور الفكر الفلسفي الإسلامي، موضعًا روافده، ومنابعه، ومقومًا آراء المستشرقين حياله، ومحددًا مباحث الفلسفة الإسلامية، والأطوار التي مرّت بها.

يحتل هذا الكتاب مكانةً بارزة في الدراسات الفلسفية، وله الريادة في هذا المجال، وقد مهّد الطريق وعبّده لمن جاء بعده. ناقش فيه المؤلف إنكار المستشرقين لأصالة الفلسفة الإسلامية، وفنّد أقوالهم، ودحض حججهم في تفرقتهم بين العقلية السّامية والآريّة، وخلّص من ذلك إلى أن للمسلمين فلسفة خاصة بهم، أطلق عليها اسم الفلسفة الإسلامية؛ وقد تجلّت هذه الفلسفة في بداية النظر العقلي عند المسلمين في علومهم ونستطيع أن نجد لها جذورًا وامتدادًا في علم الفقه وأصوله، وقد أفرد فصلاً لتعريفات علم الكلام وتطوره في الحضارة العربية الإسلامية.

فهو يؤكد أن للمسلمين فلسفة أصيلة لا هي يونانية، ولا هي فارسية أو هندية، ويمكن التماس هذه الفلسفة في أصول الفقه. وهو كتابٌ رائد وثرِيٌّ بالمناقشات الفلسفية.

### - من آثار مصطفى عبد الرازق -

صدرت طبعة هذا الكتاب الأولى عام 1957م، ويضم مجموعة من المقالات المتنوعة التي نشرها مصطفى عبدالرازق في الصحف والمجلات المصرية، من مذكراته، ويوميّاته، وسوانح خواطره، وفيها يتحدث عن نشأته ودراسته في الأزهر، وانطباعاته عن باريس، ووجهة نظره في معالجة المشكلات السياسية والدينية والاجتماعية والتعليمية، وأبعاد نظريته الفكرية في إصلاح المجتمع المصري بخاصة والمجتمع العربي بعامّة. وقد جمع هذه المقالات من مظانها شقيقه علي عبدالرازق، وافتتح بتقديم للدكتور طه حسين بعنوان: (مصطفى عبدالرازق كما عرفته)، ثم نبذة مهمة عن حياة مصطفى عبدالرازق بقلم شقيقه علي عبدالرازق.

## - أشتات مجمعة:

يقع في نحو 420 صفحة من القطع الكبير، وقد ظهرت طبعته الأولى عام 2013م عن دار الهداية، وينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ أولها: جمعت فيه بعض أبحاثه، وثانيها: مقدماته لكتب أصدقائه وتلاميذه، وثالثها: مقالاته، وقام بجمعها وتقديمها د. عصمت نصار.<sup>(1)</sup>

## - الدرس الديني الأول وخطبة الجمعة

كُتِبَ صغيرٌ تضمّنَ خطبة الجمعة التي ألقاها أول توليه مشيخة الأزهر، وهي تعتبر آية من آيات البلاغة، ونموذجاً يُحتذى في الخطابة.

## - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق:

وتقع في أربعة مجلدات ضخمة، في نحو (2000 صفحة)، جمعها وقدم لها بدراسات مطولة الأستاذ الدكتور عصمت نصار، وقد اشتمل الجزء الأول على: دراسة لجوانب العظمة والأصالة العلمية في سيرة وحياة ومؤلفات مصطفى عبدالرازق، في 300 صفحة. كما ضم الجزء الأول: ثلاثة كتب من مؤلفات مصطفى عبدالرازق، هي: (كتاب: الدين والوحي والإسلام، وكتاب: الإسلام والتصوف، وكتاب: أعلام الإسلام)

(1) - انظر: الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(407)

واشتمل الجزء الثاني على: الأبحاث التي كتبها مصطفى عبدالرازق، ومقدماته لمؤلفات تلاميذه وأصدقائه، وزملائه، والمقالات التي نشرها في الصحف والمجلات، وبيبلوجرافيا عن مؤلفات مصطفى عبدالرازق.

أما الجزء الثالث فقد تضمن أربعة كتب لمصطفى عبدالرازق هي: (كتاب: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، وكتاب: محمد عبده، وكتاب: البهاء زهير، وكتاب: فيلسوف العرب).

أما الجزء الرابع فقد تضمن كتاب: (من آثار مصطفى عبدالرازق)؛ سابق الذكر.

## إسهامه في الترجمة من الفرنسية وإليها

يقول الدكتور إبراهيم مذكور: "كان مصطفى عبدالرازق صاحب رسالة من أجل الرسالات؛ هي رسالة التوفيق بين القديم والجديد، بين الشرق والغرب"<sup>(1)</sup> وتأتي سيرة مصطفى عبدالرازق مصدقةً لهذا القول النافذ، فهو يُترجم من الفرنسية وإليها؛ بقصد نقل الحداثة والمعاصرة إلى بيئته العربية، والتعريف بقيم التراث العربي في الوسط العلمي الفرنسي، فترجم إلى الفرنسية: (رسالة التوحيد)، تأليف الإمام محمد عبده. وترجم إلى العربية كتاب: (طيف ملكي)<sup>(2)</sup>، تأليف قدرية حسين<sup>(3)</sup>. وترجم إلى الفرنسية: (رسائل صغيرة عن الأثري الكبير بهجت بك)<sup>(4)</sup>، وعن (معنى الإسلام ومعنى الدين في الإسلام). وله كتاب أصدره بالفرنسية بالاشتراك مع (لويس ماسنيون)<sup>(5)</sup> عن (الإسلام والتصوف) وقد عرّفًا فيه التّصوّف وأهميته ومكانته في الإسلام، وبيّن معنى الاتحاد وتطوره.

- 
- (1) - الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، كتاب تذكاري، ص(267)
  - (2) - كتاب: طيف ملكي: عبارة عن كتاب سياحة أدبية في التاريخ المصري، صيغت في قالب قصصي؛ يجمع بين الواقع والخيال الأسطوري.
  - (3) - قدرية حسين: (1881م - 1955م)؛ ابنة حسين كامل ابن الخديوي إسماعيل، أميرة مثقفة، لها مؤلفات أشهرها: (شهورات النساء في العالم الإسلامي).
  - (4) - الأثري الكبير بهجت بك: عالم تاريخ وأثار مصري من أصل تركي، وإليه يرجع الفضل في استخراج آثار القسطنطينية، توفى عام 1924م.
  - (5) - لويس ماسنيون: (1883م - 1962م)؛ أحد أكبر المستشرقين الفرنسيين وأشهرهم، عالم بالدراسات الإسلامية.



## مقدمات مصطفى عبد الرازق

كان مصطفى عبدالرازق على اتصال دائم بالوسط العلمي والفكري؛ ولم تشغله الوزارة ولا سواها من المناصب عن زملائه وطلابه والباحثين في الفكر والفلسفة؛ فقدّم لعدد من مؤلفاتهم؛ وتقديراته لا تأتي من باب المجاملة والكلام العام، الذي يصلح لكل موضوع، بل تكون إضافة نوعية وتأصيلاً لموضوع الكتاب، واستدراكاً عليه في بعض الأحيان، "ومعظم المصنفات التي قدّم لها كانت تحت إشرافه، أو بإيعاز منه، وتوجيهه لمؤلفيها"<sup>(1)</sup>. ومن أهم الكتب التي قدّم لها مصطفى عبدالرازق ما يأتي:

- 1- كتاب: سيرة محمد عبده؛ (كتاب مجلة العروة الوثقى)، عام 1930م.
- 2- كتاب: (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي)، تحقيق: علي سامي النشار، عام 1932م.
- 3- كتاب: (الإسلام والتجديد في مصر) للمستشرق الأمريكي تشارلز آدمز، ترجمة عباس محمود، عام 1935م.
- 4- وكتاب: (موسى بن ميمون) حياته ومصنفاته، تأليف: إسرائيل ولفنسون، عام 1936م.
- 5- كتاب: (جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الفكرية في الشرق)، تأليف: محمد سلام مدكور، عام 1937م.

---

(1) - الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، ج2، ص(7)

- 6- كتاب: (تاريخ الأخلاق)، تأليف: محمد يوسف موسى، عام 1941م.
- 7- كتاب: (الأستاذ الإمام محمد عبده)، تأليف: عبدالمنعم حمادة، عام 1945م.
- 8- كتاب: (الأحلام)، تأليف: توفيق الطويل، عام 1945م.
- 9- كتاب: (المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية)، تأليف: بيون جوتيه، ترجمة: محمد يوسف موسى، عام 1945م.
- 10- كتاب: (رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده)، تأليف: عثمان أمين، عام 1945م.
- 11- كتاب: (التربية في الإسلام)، تأليف: أحمد فؤاد الأهواني، عام 1945م.
- 12- كتاب: (صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام)، تحقيق: علي سامي النشار، وسعاد علي عبدالرازق، عام 1947م.
- 13- كتاب: (الإدراك الحسي عند ابن سينا)، تأليف: محمد عثمان نجاتي، عام 1947م.
- 14- كتاب: (ابن الفارض والحب الإلهي)، تأليف: محمد مصطفى حلمي، صدرت الطبعة الثانية عن دار المعارف، القاهرة، عام 1985م.

## المصادر والمراجع

أولاً: كتب للشيخ مصطفى عبدالرازق وعنه:

- 01- الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق، تحقيق ودراسة أ.د عصمت نصّار، ط 1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2019م.
- 02- البهاء زهير، مصطفى عبدالرازق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، القاهرة، 2012م.
- 03- تمهيد لتاريخ الفلسفة، مصطفى عبدالرازق، دار آفاق للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2020م
- 04- الدين والوحي والإسلام، مصطفى عبدالرازق، ط 2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1997م.
- 05- الشيخ الأكبر مصطفى عبدالرازق، مفكراً وأديباً ومصلحاً، كتاب تذكاري، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997م.
- 06- الشيخ مصطفى عبدالرازق ومذكراته، د.أحمد زكريا الشلق، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م
- 07- الشيخ مصطفى عبدالرازق مسافراً ومقيمياً، حررها وقدم لها: أشرف أبو اليزيد، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م.
- 08- فيلسوف العرب، والمعلم الثاني، مصطفى عبدالرازق، ط 1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2019م.
- 09- قراءة في فكر الشيخ مصطفى عبدالرازق، د.محمد عبدالرحيم الزيني، ط 1، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، 2011م.

- 10- مذكرات مسافر، رحلة شيخ الأزهر إلى أوربة، مصطفى عبدالرازق، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م.
- 11- الفكر الإسلامي المعاصر، مصطفى عبدالرازق، د.علي عبدالفتاح المغربي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1987م.
- 12- من آثار مصطفى عبدالرازق، علي عبدالرازق، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2014م.

### ثانياً: مراجع أخرى

- 1- أدب وطرب، د.جمال الدين الرمادي، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت.ط)
- 2- الأزهر في ألف عام، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط2، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)
- 3- أساتذتي، نجيب محفوظ، إعداد وتقديم: إبراهيم عبدالعزيز، ط1، دار ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002م.
- 4- الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمز، ترجمة: عباس محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م.
- 5- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.
- 6- أعلام في حياتنا، د. نعمات أحمد فؤاد، كتاب الهلال، يناير 2002م.
- 7- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د.عبدالرحمن بدوي، ط1، دار القلم، بيروت لبنان، 1982م.
- 8- توفيق التطبيق لعلي بن فضل الله الجيلاني، تحقيق الأستاذ الدكتور. محمد مصطفى حلمي، ط1، القاهرة، 1954م.
- 9- ديوان العقاد، عباس محمود العقاد، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت، 2016م.

- 10- ذكريات، علي الطنطاوي، ط2، دار المنارة، جدة، 1989م.
- 11- رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، د. أمين عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ت.ط).
- 12- سيرة الحبايب، سناء البيسي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2009م.
- 13- سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000م
- 14- شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، ط1، دار الكتاب، بيروت، 1986م.
- 15- صور ضاحكة، إبراهيم زكي خورشيد، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1984م.
- 16- عطر الأحباب، يحيى حقي، (د.ت.ط).
- 17- قاموس الأدب العربي الحديث، د.حمدي السكوت، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2009م.
- 18- قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د.توفيق الطويل، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.
- 19- كتب ومؤلفون، طه حسين، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
- 20- كيف أصبحوا عظماء، د. محمد الجواد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
- 21- لقاء معهم، كامل الشناوي، (د.ت.ط)
- 22- محمد لطفي جمعة وهؤلاء، رابع لطفي جمعة، دار الوزان للطباعة والنشر، القاهر، 1991م.
- 23- محمود أبو الوفا: دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م.
- 24- المعاصرون، محمد كرد علي، ط3، دار صادر، بيروت، 1993م.

- 25- مع الأيام، د. إبراهيم مدكور، دار المعارف، (د.ت.ط).
- 26- معالي الشيخ الوزير، صلاح عطية، مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، يوليو 2009م.
- 27- معني الفلسفة، د. أحمد فؤاد الأهواني، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1947م.
- 28- معي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، سلسلة اقرأ، أغسطس 1981م.
- 29- مفكرون من عصرنا، سامي خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
- 30- من أعلام الثقافة العربية، ط1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2016م.
- 31- من أعلام الفكر والأدب، أنور الجندي، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت.ط)
- 32- من وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، ط1، دار روائع الكتب، دمشق، 2021م.
- 33- موسوعة أعلام الفكر العربي، سعيد جودة السحار، ط1، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت)
- 34- موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، سامح كريم، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2010م.
- 35- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، د.يوسف المرعشلي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006م.
- 36- نجيب محفوظ: صفحات من مذكرات وأضواء جديدة على أدبه وحياته، رجاء النقاش، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1998م.
- 37- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، ط1، دار القلم، دمشق، 1995م.

- 38- هذا الرجل من مصر، لمعي المطيعي، دار الشروق، (د.ت.ط)
- 39- هؤلاء الرجال من الأزهر، لمعي المطيعي، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، 1989م.

### ثالثاً: المجلات

- 1- حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد(17)، ص.ص(232-273)، جامعة قطر، 1994م.
- 2- مجلة الأزهر، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثامن، شعبان 1370هـ- مايو 1951م. ص.ص(713-717).
- 3- مجلة الرسالة، العدد(712)، 24 فبراير 1947م.
- 4- مجلة الرسالة، العدد (718)، 7 أبريل 1947م.
- 5- مجلة العربي، العدد(74)، يناير 1965م.
- 6- مجلة العربي، العدد(149)، أبريل 1971م.
- 7- مجلة الهلال، عدد(3)، مارس 1997م.



## المؤلف



أبهر مضاويح الأملعي

أديب سعودي، من مواليد ألمع، بمنطقة عسير، جنوب المملكة العربية السعودية، عام 1969م، جاوزت إصداراته الثلاثين كتابًا؛ في القصة، والرواية، والتراجم، والمقالة الأدبية.



## المحتويات

11.....	مقدمة.....
15.....	<b>سيرة عالم.....</b>
17.....	الميلاد والنشأة.....
21.....	في الأزهر.....
24.....	اتصاله بالأستاذ محمد عبده وتأثره به.....
33.....	فقد الأب بعد فقد الأستاذ.....
37.....	عالميّة الأزهر والسفر إلى فرنسا.....
41.....	نشوب الحرب الأولى وعودته إلى مصر.....
45.....	ندوة مصطفى عبدالرازق.....
49.....	شغفه بالقراءة واقتناء الكتب.....
51.....	مصطفى عبدالرازق أستاذًا في الجامعة.....
63.....	طلته بتلاميذه وتأثرهم به.....
71.....	مصطفى عبدالرازق وزيرًا للأوقاف.....
75.....	مصطفى عبد الرازق إمامًا للأزهر.....
81.....	شيء من قيّمه وسجاياه النبيلة.....
107.....	مصطفى عبدالرازق شاعرًا.....
109.....	مصطفى عبدالرازق أديبًا.....
115.....	مصطفى عبدالرازق ناقدًا.....
123.....	مصطفى عبد الرازق رائدًا للفلسفة الإسلامية.....
131.....	وفاته.....
135.....	رثاء الأستاذ الأكبر.....

137.....	ذكرى عالم .....
139.....	شذرات من كتاباته وقبسات من أفكاره.....
149.....	آثاره العلمية.....
153.....	مؤلفاته .....
159.....	إسهامه في الترجمة من الفرنسية وإليها .....
161.....	مقدمات مصطفى عبد الرازق .....
163.....	المصادر والمراجع.....
169.....	المؤلف.....